

وماذا بعد؟

رواية

الدكتورة

دانة أحمد الجدع



ISBN 978-9957-05-212-6

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

 دار النشر والتوزيع	دَارُ النَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ عمان - الأردن صندوق بريد : ٩٢٥٧٩٨ - الرمز : ١١١٩٠ هاتف وفاكس : ٥٦٧٨٥٠٢ ٦ ٩٦٢ ٠٠ البريد الإلكتروني : info@daraldia.com الموقع على الإنترنت : www.daraldia.com
---	--

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ٢٠١٠/١٠/٤٠٥١

٨١٣,٩

الجدع ، دانة أحمد

وماذا بعد ؟ - رواية / دانة أحمد الجдец .

عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع . ٢٠١٠

(٢٠٨ ص).

ر.إ. (٢٠١٠/١٠/٤٠٥١).

الواصفات : القصص العربية // العصر الحديث /

■ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

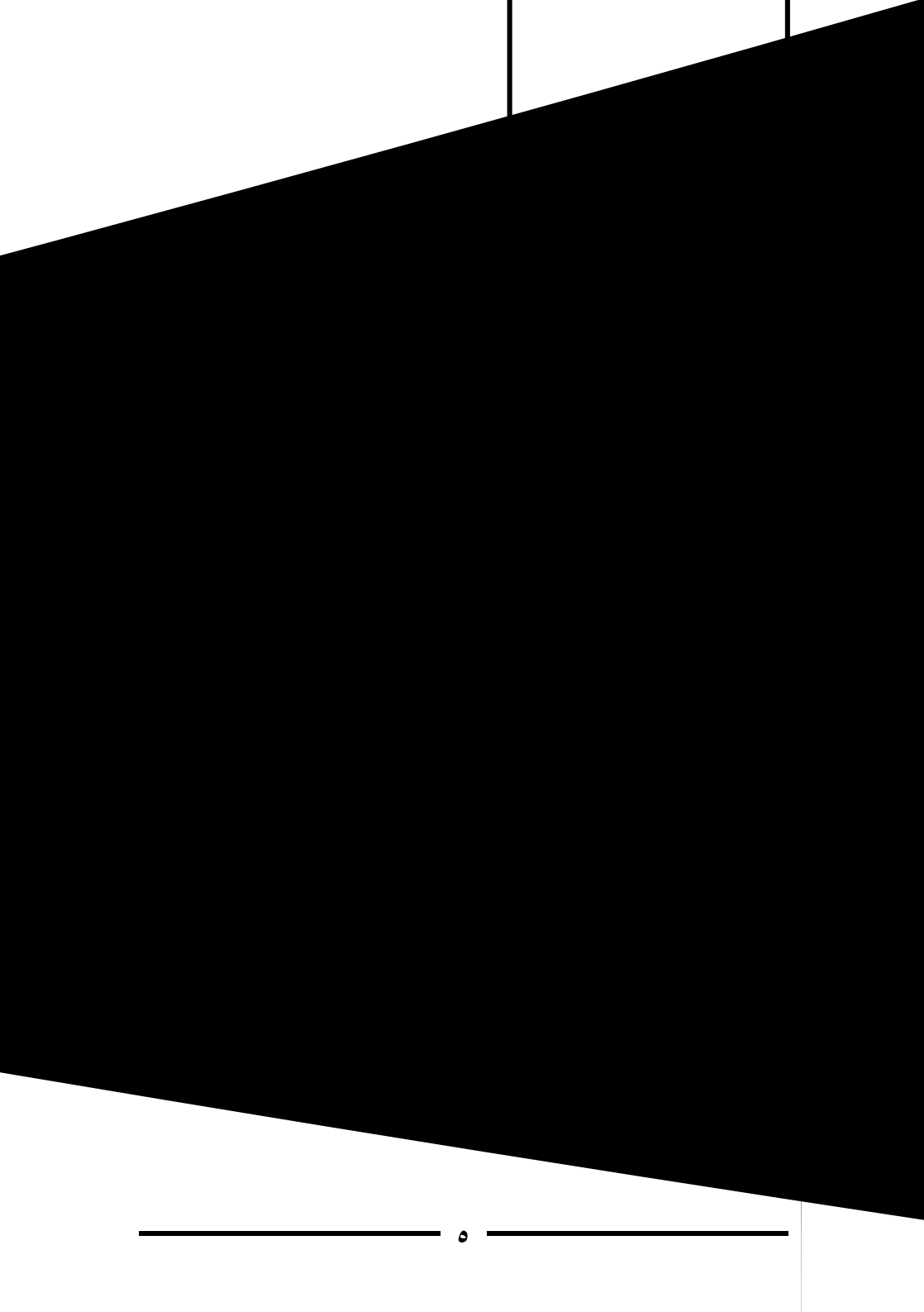
جميع الحقوق محفوظة

■ ١٤٣٢ هـ | ٢٠١١ م ■

أنس أحمد الجдец
دانة أحمد الجдец

تصميم الغلاف
رسم الغلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
بِسْمِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ



الشعوب الخالدة على خط التاريخ، ويرضى الله تعالى عنا.
بذلك أهدي هذه الرواية من بعد والدي ووالدتي إلى كل فنان
مثمر في هذه الدنيا.

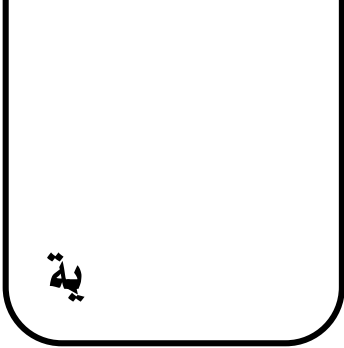
الموقع الشخصي للكاتبة:

www.dr-danajada.com

البريد الإلكتروني:

Danajada84@yahoo.com





ية

المقدمة

لم أكن أتصور وأنا في مقتبل العمر أن الجد قد مر في فترات الزمان ذاتها التي مررت بها، لقد كان طفلاً، ثم صبيّاً، ثم شاباً، أما الآن وأنا أعيش عيدي الثمانين، أعد الشعرات البيضاء المتبقية على رأسي، وأنظر إلى أصابعي الضعيفة، وأظفري المهترئة، أجلس على كرسي يهتز بي ذهاباً وإياباً ليشرعني بالهدوء الذي أرجو، وألف جسدي بلحاف يحميني من نسيمات البرد في بداية الخريف، أنظر إلى أحفادي فأعلم تماماً أنهم يفكرون بالطريقة ذاتها التي كنت أفكر بها. واحد من أحفادي فقط هو الذي اقترب مني يقول: "جدي، هل صحيح أن هذا هو عيدك الثمانون؟"

ابتسمت له وأجبته: "نعم يا بني، إنه الثمانون"
فتحلق حولي أحفادي الآخرون، تتراوح أعمارهم بين الثالثة والثانية عشرة، صغار نشيطون، لا يفكرون إلا باللعب، وبدؤوا يسألون: "ما هو شعورك اليوم؟ كيف ستقضي العام القادم؟ هل تحب أن نحضر لك هدية؟ هل تتذكر أياماً سعيدة مع الجدة؟..."

كلهم يفكرون في الثمانين، كم مضت أيام طوال عشت فيها الصبا

كما يعيشون، ولكن أحدهم لا يدري.

كرر علي أحفادي : "هل تحب أن نجلب لك طعاماً ما؟ ألا تحب أن تتناول شيئاً من اللحم، ألا تحب أن تغير شيئاً من عادتكَ في هذا اليوم؟"
حدقت في عيونهم البريئة، إنهم لطيفون ويحبونني، ولكنهم لا يفهمون ما أشعر به، وكيف لهم ذلك وهم في مقتبل العمر؟ أما أنا فقد دارت بي الحياة، ورمتني في دوامة الزمن لا أعلم متى أخرج منها.

"جدي... هل تريد اللحم؟"

رَبْتُ على شعر حفيدي وقلت له: "شكراً لك يا صغيري، ولكنني لن أغير هذه العادة ما حييت"
"إذن ماذا نحضر لك؟"

فكرت قليلاً، ثم قررت أن أكون صادقاً وأجيب إجابة من القلب
علَّها تصل إلى القلب: "لا أريد أن تحضروا لي شيئاً، أريد فقط شيئاً واحداً"
"ماذا؟"

"أن تستمعوا إلى حكاية أرويتها لكم"

تنهد الأحفاد، فقد اعتادوا على سماع حكايات من الزمن الغابر، بل اعتادوا على تكرار الحكايات نفسها مني ومن جدتهم، بل ومن أجدادهم من أمهاتهم وآبائهم من الطرف الآخر، ولكن... هل حكايات الأجداد دائماً تبعث الملل في نفوس الأحفاد؟

الأحفاد قد تمالكوا أنفسهم لأنه يوم مميز بالنسبة لهم
الوسائد المريحة المنتشرة في أنحاء الغرفة،
فان، وبدأ الآخرون يحدوهم في هذه
سيضيعون في هذه الجلسة، ولكن

ببون، وحدقت فيهم بعين
الجد غير قادر على رواية ما
في قديم الزمان وأسالف

الجزء الأول
التعريف بالشخص

الفصل

جامع

الخارج

الأنت

ال

الثلاث سنوات، معظم العمل كان يتم بعد منتصف الليل.
كان للبناية سور طويل، ولم يكن يستطيع أحد أن يرى من
البناية إلا الباحة الخلفية، وكانت جميلة ونظيفة، تحوي بحيرة
صغيرة، ووروداً إلى جانبها منتظمة بعناية.
كما كان هناك عدد من المقاعد، يؤكد الجميع أن أحداً لم يجلس
عليها بعد، لربما الأرواح وحدها جلست عليها كما قالت إحدى
الإشاعات.
والى الآن، وكما ذكرت سابقاً، لم يهتد أحد إلى هوية صاحبها،
أو الهدف الذي بنيت من أجله.
مرت الأيام، ونشر الإعلان الصحفي: (جامعة الفنون ترحب
بكم، وتعلمكم بحلول بداية الفصل الدراسي الأول فيها، لمن يرجو
التقدم بالطلب إلى الجامعة، فعليه فقط أن يقدم اسمه

رغم أن عنوانها "سيرة
قديس" هو لها أخيراً
أخيراً للجميع

كان الإعلان
السبب أكثر من مهم

منهم تجاوز العاشر
الأوراق الرسمية
اسم متعارف
تأخذ بند في جيل الطالب.

هذا أن كل شيء ، ولم يُ
الجرية: (مد المدام الرسمي
صباح).



الفصل الثاني

الشيك المفتوح

سأل أحد الأحفاد: "وهو سيحضر أحد الساعة الرابعة صباحاً؟"
قال آخر: "لماذا هذا الوقت المبكر من الصباح؟ النهار طويل"
فأجبت قائلاً: "صبراً يا حفاذي، فالحكاية ما تزال في أطرافها"
فقال أحدهم: "وماذا حصل بعد ذلك؟"
أكملت:

"من بين الخمسة آلاف طالب، حضر اليوم الأول في الساعة
أربع صباحاً ألف وخمسمئة طالب، قامت الجامعة بادئة بتسجيل
أسمائهم، وشطب من تبقى من الأسماء.
في كل سنة، كان هناك ألف وخمسمئة طالب، بل ظن

مطابقاً لا أكثر

توزع المدرسون بين ذكور وإناث، بين شباب وشيوخ، حتى أنه حوى طفلاً لم يتجاوز العاشرة!

كان من المفترض أن يكون الجو أخوياً جميلاً، في مكان جميل، وجو لطيف، ووجوه مبتسمة، ولكن أحداً من المشتركين لم يكن يشعر بالراحة. شيء ما يخبئه القدر، شيء ما وراء تلك الجدران، شيء ما وراء تلك الابتسامات، شيء جعل جميع الطلاب يتحدثون حتى دون أن يشعروا، لقد باتوا متصلين بقدر محتوم.

لم يكن هناك من رئيس بينهم، كانوا جميعاً يصطفون بشكل منتظم كأسنان المشط، يرحبون بالمنتسبين، ويقدمون لهم التهاني. وماذا بعد؟

بدأ توزيع الطلاب حسب ميولهم، منهم من اختار الرسم، ومنهم من اختار العزف، والتمثيل، والرواية، والخطابة، والشعر... كما بدأ توزيع الفنون المتخصصة، وتفرع عبر تفرع، لم يكن المشوار طويلاً، على كل فرد أن يدرس فرعاً بعينه، وعليه أن يخضع للتدريبات اليومية استعداداً لامتحان نهاية العام، وهذا كل ما في الأمر!

سأل أحد المشتركين عن ماهية الشهادة التي سيحصلون عليها، وإذا ما كانت الجامعة معترف بها في أنحاء البلاد والبلاد المجاورة، وكان الجواب بسيطاً وصريحاً: لا!

تحدث أحد المدرسين، وقد كان شاباً في بداية الثلاثين، يرتدي ثياباً أنيقة وحيوية، ترتسم على وجهه ابتسامة ألطف من الباقين، وقد صفف شعره بأسلوب جذاب، استخدم فيه مساحيق عدة.

قال: هذه الجامعة ليست مسجلة في سجلات الجامعات العالمية، وليست كذلك في محتوى الجامعات الدولية، وهي أيضاً ليست ضمن الجامعات المحلية، إنها جامعة خاصة جداً، تقوم فقط بتنمية المواهب.

فقال أحد المنتسبين: وماذا نجني من هذا؟

أوضح: ببساطة تنمون مواهبكم بأسلوب حديث، وبإشراف من أعظم أساتذة الفن من مختلف بقاع الأرض.

احتج أحد المنتسبين: وهل هذا كل شيء؟

هنا قاطع الحديث أكبر الأساتذة، شيخ في السبعين، تبدو التجاعيد واضحة على وجهه، وعلامات الصرامة لم تستطع الابتسامة المصطنعة اخفاءها، رغم ذلك كان يتمتع بصحة جيدة، كما كان صوته قوياً ينم عن ذاكرة حديدية: تحصلون على هذا. ورفع بيديه ورقة صغيرة بحجم الكف، حاول الجميع التحديق في محتواها بلا فائدة، فأوضح: إنه شيك مفتوح."



الفصل الثالث

المنتسبون

انبهر الأحفاد: "أواه! شيك مفتوح!"

أشرت بالإيجاب: "نعم، هذا ما كان الجميع سيتنافسون للحصول عليه"

سأل أحد الأحفاد: "ومن من سيحصلون على هذا الشيك؟"

أجبت: "من الجامعة"

قال: "أعني من هو الذي سيصرف لهم هذا المال؟"

أجبت: "لم يفصح أحد عن هوية صاحب المال، ونسب معظم المنتسبين الرصيد إلى الدولة"

قال الأحفاد منبهرين: "هذا رائع"

فتابعت الحكاية أقول: "كثيرون هم من تقدموا للجامعة، وخاضوا التدريبات، وقيّموا في الامتحانات، ولكن ما عليكم إلا أن تتعرفوا على أربعة منهم:

بسم، شاب في الخامسة والعشرين، قصير القامة، بدين الجسم، شعره أسود قصير، بسيط الملامح، ذو عيون غائرة، وصوت رفيع، يرتدي ثياباً قطنية تلائم حجمه الكبير، وبنطالاً مفصلاً له خصيصاً.

سميَّ أنت في أواخر الأرب

الفصل الرابع اني

كان يحلق شعر رأسه عن آخره، ويترك لحية صغيرة تعتبر
الأكثر جاذبية في عصره ذاك، كما كان يعتني بلباقته البدنية، فهو
أحد هؤلاء النكهين، تفتت غداً ما كان

الفصل الخامس

المنتسب الثالث

سأل حفيد: "هل كانت علاقتهما سيئة؟"

أجبت: "كلا، لم تكن كذلك، ولكن لنقل إنه لم تكن هناك علاقة أساساً"

فسأل حفيد آخر: "ولكن على فريد أن ينتبه إلى ذلك، فقد لا ينجح إذا لم ينل إعجاب الأستاذ"

قلت: "لم تكن بينهما علاقة، ولكن هذا لا يعني أن الأستاذ لم يكن حاضر الذهن إلى جميع المنتسبين وقدراتهم، فقد كان يعلم الكثير عن الجميع، كما أن فريداً لم يكن يحتاج إلى الشيك المفتوح ليحصل على المال" انبهر الأحفاد بالغنى الفاحش الذي يعيشه فريد، أما الآن فعلي أن أستحضر إلى أذهانهم المنتسب الثالث، فقلت: "المنتسب الثالث يدعى شادي، شاب في الثانية والثلاثين من العمر، أكبر المنتسبين الأربعة، طويل ووسيم، طويل الشعر، واسع العينين، تقطر عيناه غروراً، يحلق شاربه ولحيته عن آخرهما، وينتقي ثياباً أنيقة رغم أنها رخيصة الثمن.

كان شادي من عائلة متوسطة الحال، له أختان صغيران، كما

أنه تقدم لخطبة فتاة في السادسة والعشرين من العمر اسمها قمر.
لم يكن مشروع الخطبة سهلاً بالنسبة له، فقد تعب في تحضير
ما يلزم من تجهيزات كانت واجبة في ذلك العصر، وبعد كل التعب
اضطر لتأجيل العرس بسبب كثرة المصاريف.

على كل حال كانت هذه حال معظم الشباب، أما بالنسبة لميوله
فقد كان عازفاً طموحاً، كان يحب البيانو والكمان، وكان من المبدعين
منذ التحاقه، فقد كان قد تمرس في العزف في عدة أندية، وتعلم على
أيدي المحترفين.

مدرسه في الجامعة كان إحسان، الذي تحدثنا عنه من قبل، وقد
كان إحسان حسن التعامل مع الجميع، وكان يعلم أن لدى شادي ما
يميزه عن الآخرين، ولكنه كان يعامل الجميع بالمثل



الفصل السادس

المنتسب الرابع

قال أحد الأحفاد: "بقي المنتسب الرابع"

قالت إحدى الفتيات: "أليست فتاة؟"

فأجبتها: "لا تتمني ذلك، فلن يكون ذلك شيئاً جيداً لها"

"لماذا؟"

قلت: "لا تستبقوا الأحداث، المنتسب الرابع كان شخصية

كئيبة، أستطيع أن أروي عنه رواية تراجيدية بحتة، فهو يتيم الأبوين، يرعى عائلة مكونة من ثلاثة أفراد، بنتان وولد أصغر.

يدعى راوي، نحيل، ذو شعر بني ناعم، وعيون عسلية ذائبة في

بحر الأحزان، بياضه شاحب، وجسده دائم الإنهاك من الهم والعمل.

دعاه إلى الالتحاق بالجامعة حبه للكتابة، الذي لم يدر عليه

يوماً فلسافاً واحداً، ولكنه كان يشعر أن طريق الرواية هو مسار حياته

الذي خلقه الله له، وبرغم كل المآسي التي يذوقها كل يوم إلا أن إيمانه

بأن الله سيجعل من يده تلك ومن قلمه الهش، رمزاً في هذه الدنيا، هو

دافعه الأكبر.

إخوته يصغرونه، فقد كان في الثامنة عشرة، وله أخت في

الخامسة عشرة، وأخرى في الثانية عشرة، وأخوه الأصغر بعمر العشر سنوات.

مرت ستة أعوام على وفاة والدته بمرض السل، الذي تفشى في جسدها من قلة الرعاية الصحية، وتزوج والده من أخرى وترك راوياً يعتني بإخوته الصغار منذ ذلك الحين.

اضطر راوي لتقسيم يومه بين الدراسة والعمل، ولم يحصل على تحصيل دراسي جيد، ولم يدر عليه أي عمل أموالاً كافية، كان غالباً ما يحرم نفسه من أجل إخوته.

ولم يكن أحد يأبه لاهتماماته وكتاباته، وما لم تدر عليه أي نقود فلم يكن يأبه بعرضها على أحد، كل همه كان محصوراً في جمع المال، إلى أن انتصبت تلك الجامعة أمام عينيه، وفكرة الشيك المفتوح كانت له أكبر من خيال.

فعلى عكس فريد، كان هم راوي منصباً على الشيك المفتوح، وعلى هوايته التي يحبها، ويحب أن تكون السبب في فتح الآفاق له ولإخوته الصغار.

مدرس راوي كان كاتباً خبيراً في جميع المجالات الكتابية، فقد برع في الكوميديا والتراجيديا على حد سواء، كما برع في الروايات الطويلة والقصص القصيرة المعبرة، وشارك راوياً بأفكاره وابداعاته،

تبس راوي الكثير من العلم منه، وطور أدائه بسرعة كبيرة حيث لم

الجزء الثاني
ما بعد التخرج

الفصل السابع

البداية

كنتُ جالساً أحرق في قطرات المطر المتساقطة على النافذة، رذاذ طفيف، ثم قطرات أكبر فأكبر، ثم يعاود الانقطاع.

مخطط قد رسم له بكل دقة وإتقان، كل قطرة من هذه القطرات تتجه إلى حيث يقودها مرسلها، لا تتزحزح يميناً أو شمالاً، بل لا يشاركها في مسارها قطرة أخرى.

يوماً ما ستصل تلك القطرة إلى التربة، فتبتلعها الأرض، وتستغلها الأشجار، وكل قطرة في شجرة، وكل ذرة في خلية، كلها تسير وفق تدبير واحد.

ألا نشبه قطرات الماء في مسارنا في هذه الدنيا؟

كانت رغبتي شديدة في كتابة ما أفكر فيه، ولكن رجفة شديدة سيطرت على جسدي منذ سنين، جعلت مني إنساناً عاجزاً عن التعبير بالكتابة، ولكن ما يزال لدي أسلوب التعبير الشفوي، فقد تحلق حولي أحفادي ثانية، هذه المرة بملء إرادتهم، لأتابع لهم الحكاية.

قال أحد الأحفاد: "ذكرنا يا جدي بالشخص ثانية"

قلتُ: "على الرحب والسعة، تذكرون المنتسبين الأربعة: بسام،

فريد، شادي، راوي.

كما تعلمون فإن هذه الأسماء إنما هي أسماء مستعارة
استخدموها داخل الجامعة، فبسم كان رساماً، وفريد كان ممثلاً،
وشادي كان عازفاً، وراوي كان كاتباً.

يدرسهم: سمية، وضياء، وإحسان، وأسد.

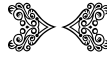
قفزت إحدى حفيداتي مسرورة: "نعم إحسان!"

ضحكت لتفاعلهما، ثم تابعت: "بسم كان هادئاً في طبعه، فريد
كان غنياً مندفعاً، شادي كان طموحاً، وراوي كان حزيناً.

سمية كانت جميلة، وضياء كان مميزاً، وأسد كان لا أبالياً،

وإحسان..."

فقالت حفيدتي: "كان وسيماً".



الفصل الثامن التخرج

تابعتُ الرواية: "وحان اليوم الموعود، يوم التخرج، اليوم الذي سيعلن فيه المنتسب المثالي الذي سيحصل على الشيك المفتوح.

كان حفلاً كبيراً، حضره جميع المنتسبين والمدرسين، كما كان مفتوحاً للعامة أخيراً.

كان يضم احتفالات وبازارات، استغل فيه كثير من التجار الفرصة لعرض بعض البضائع، حتى إن بعض المنتسبين عرضوا أعمالهم للبيع في ذلك اليوم.

كان أشبه باليوم المفتوح، ولكن الجميع كان ينتظر النتيجة الساعة السادسة مساء.

كان الجو جميلاً، والجميع متحمسين، والتجارة على أوجها، والإبداع مرشوق في كل مكان.

قام بسّام بعرض بعض لوحاته، وقد استطاع أن يبيع منها الكثير، كما قام فريد ببيع الحركات الاستعراضية على المسرح، وعزف شادي الكثير من الألحان الجميلة.

أما راوي فقد كان يعمل حتى يكسب قوت عائلته حتى في يوم

ان

ولكن أحداً لم

التوتر.

المفتوح؟

الرئيسية في

على كل

فوز جميل، قفز وهلل وركض خيراً يستطيع أن يحسن أحوال
عائلته.

وأخيراً انطلق البالون الرابض أماماً شادي.
رفع شادي يده سعيداً، وكفى خطيبته إلى جانبه تقفز معه،
لقد نجح.

ظلت الأبصار تحقق في البالون، هل هناك بالون خامس؟ ماذا
بعد؟

فعلاً انطلق بالون خامس، ساد الصمت عليه: شكراً.
ساد الصمت المكان، هذا كل شيء، لقد انتهى كل شيء."



الفصل التاسع الأربعة

قال أحد الأحفاد: "إذن لم يكن هناك فائز واحد"

قلت: "لقد نجح الأربعة معاً"

سألت إحدى حفيداتي: "وماذا سيفعلون الآن؟"

تابعت ببساطة: "انفض الناس عن الساحة، وبقي الأربعة

قفين، وبارك لهم المدرسون

يتعارفون، لا يعلمون أي مصير يجمعهم.

بدأ فريد بالتعارف حيث كان أكثرهم اندفاعية: بما أن كلاً منا يعرف اسم الآخر، فليعرف كل منا عن الفن الذي أبدع فيه ليحصل على الجائزة القيمة.

قال بسّام: ولم لا تبدأ أنت؟

قال فريد: بكل سرور. ووقف يقول في فخر: إنني ممثل، وكما يبدو أن الجميع أجمع أنني ممثل من الطراز الأول، أستطيع تمثيل الكوميديا والتراجيديا، أستطيع تقليد الصغير والكبير، أنا قادر على تقمص أي دور كان.

قال بسّام: أما أنا فأنا رسّام، التحقت بالجامعة لأتمرس على رسم الخلفيات، ولم أتصور حقيقة أن يتم اختياري من بين الفائزين بالجائزة. عندها حمل شادي كمانه وبدأ يعزف لحناً فنياً مبدعاً، اختلط فيه كل من مشاعر الأمل والحزن بشكل غريب، ثم قال: أنا عازف، أجد العزف على جميع الآلات الموسيقية، وأفضل البيانو والكمان. أخيراً قال راوي وقد كان أصغرهم: أنا كاتب.

لم يقل راوي شيئاً آخر، فلم يعرف ما يتوجب عليه قوله لغرباء مثل هؤلاء، سينفصل عنهم بعد دقائق معدودة، ويعود إلى إخوانه بالخبر السعيد، والحياة الجديدة.

الآن في هذه القاعة.

كانت القاعة مغطاة بأفخر أنواع السجاد الأحمر، والستائر الحمراء المذهّبة، إضافة إلى مجموعة فاخرة من المقاعد الجلدية السوداء موزعة بشكل دائري حول طاولة خشبية عريضة.

انبهر الأربعة بجمال المكان، فالسقف كان مرتفعاً، تحلق فيه سبعة ثريات كبيرة، بالإضافة إلى الشموع الموزعة على الطاولة وحول الستائر.

كان جميع الأساتذة جالسين في مقاعدهم على الطاولة، وترك خمسة مقاعد، إحداها لإحسان، والباقية للمنتسبين.

الجميع كانوا يجلسون على شكل دائرة، فليس هناك من زعيم بينهم على ما يبدو، رغم أن هناك من يكبرهم، إلا أنه يجلس على الطاولة كما يجلس أصغرهم.

جلس الأربعة حيث طُلب إليهم، كما جلس الأستاذ إحسان، وبدأ أكبرهم الحديث.

مبارك لكم النجاح الباهر، أنا أدعى جهاد، كبير المدرسين، وكما أخبرتكم في السابق فإن جائزتك هي هذا.

ورفع بين يديه شيكاً، كان هو ذاته الشيك المفتوح الذي عرضه

في أول يوم.

أمة، حتى

قالت سمية: هدف هذه الجامعة هو إنتاج ما لم ينتجه أحد من قبل.

تابع ضياء متحمساً: عمل سينمائي فائق الإبداع.

قال فريد معلقاً: كثرت الأعمال السينمائية!

فقال وليد: ولكنها ليست عظيمة كفاية لتحصل على شيك مفتوح، أليس كذلك؟

سكت الأربعة فقال جهاد: لكم أن تتعاونوا على إنتاج فيلم مبدع، لديكم كاتب، وملحن، ورسام، وممثل، كما تستطيعون التعاون مع أي مبدع تجدونه مناسباً، وحجز أي طاقم، وأي ساحة عمل، باختصار تستطيعون عمل أي شيء، فلديكم شيك مفتوح.

قال راوي: هذا هو مغزى الشيك؟

قالت دلح: طبعاً.

سكت راوي، فقد كان يأمل أن يطعم عائلته، فقالت سمية التي فهمت على الفور ما يدور في ذهن راوي: تستطيع أن تجني أموالاً طائلة من الفيلم.

ولكن هذا سيتطلب وقتاً وجهداً.



الفصل العاشر العرافة

قال أحد الأحفاد: "باتت الأحداث غريبة"

قالت إحدى الحفيدات: "وهل يستطيعون التعاون فيما بينهم؟
أعني أنهم مختلفون تماماً"

قلت: "هذا هو بيت القصيد، عليهم أن يركزوا على ما يجمعهم،
ويتناسوا كل اختلاف"

قال أحد الأحفاد: "هل يستطيعون ذلك؟"

قالت أخرى: "عليهم أن يجدوا ما يجمعهم"
قلت: "أو أن يجدهم هم"

لم يفهم أحدهم ما قلت، ولكنني فضلت أن أتابع
الرواية: "انفض المكان، والوعد قائم على تسليم الشيك المفتوح مقابل
عمل فني يكون الأفضل في العالم، عمل ليس له مثيل من قبل ولن يكون
له مثيل من بعد.

بسّام كان يفكر، فريد كان حائراً، شادي كان متعجباً، وراوي
كان خائب الأمل.

بقي القليل من الناس في الساحات، ومعظمهم كان يغادر، حتى

أن الباعة بدؤوا يغادرون.

وقف فريد يقول: علينا أن نفكر بهدوء اليوم، ونتواعد على اجتماع في الغد.

قال راوي فوراً: ليس لدي الوقت الكافي.

قال بسّام: هل تنسحب؟

فأجاب: أريد حصتي من الشيك المفتوح.

فقال شادي: آسف لأطلعك على الحقيقة، ليس هناك حصة في الشيك المفتوح.

قال راوي: ماذا تقصد؟

قال بسّام: إنه سيصرف فقط على العمل الفني الذي سنقوم به.

قال راوي: لم نتفق على ذلك.

ابتسم فريد وقال: لم يكن هناك اتفاق منذ البداية، هذه الجامعة لا تتبع أي نظام، إنها جامعة خاصة، وهدفها الآن بات واضحاً.

وقف شادي يفكر، ثم قال: ليست فكرة سيئة.

كانت هذه أول نقطة تحول في الحوار، وكانت نقطة جد إيجابية، فقد نظر الجميع إلى شادي وهو يقول: أعني أننا سنكسب المال والشهرة وكل ما نشتهي، فمن الجميل أن نثبت وجود الإبداع فينا، ونحصل على المال الذي كنا نرجو.

ابتسم فريد وقال: ها قد بدأ أحدنا يفكر بإيجابية.

قال بسام: ليست لدينا أية فكرة عما سنفعل!

قال شادي: الفكرة تبدأ من المؤلف.

فاتجهت الأنظار إلى راوي، الذي سارع يقول: أنا لم أتفق معكم بعد على شيء، ثم إن لدي إخواناً جلياً في انتظار، وليس لدي الوقت الكافي لصنع ما لا أدري إلى أي نهاية يؤدي بنا، فربما لا ننجح. قال فريد: وربما ننجح نجاحاً باهراً.

قال راوي: ربما.

قال بسام: لقد جمعوا الأفضل، علينا أن نتفائل.

قال شادي: ربما ينظر المدرسون إلينا بأمل كبير، لقد تعبوا من أجلنا.

قال راوي: وما همى بغيري، أريد فقط أن أكسب النقود.

عندها قال فريد: ما رأيك إذا ما تكفلت براتبك الشخصي مقابل

العمل معنا؟

سكت الجميع، إنها جرأة كبيرة! فقال راوي: أنت تعطيني راتباً!

قال فريد: أعطي رواتب للجميع مقابل أن أكون القائد.

شعر الجميع بسخافة ما يقول، ولكن كان عليهم أن يختاروا

قائداً، فأى جماعة ستفضل دون قائد.

بدأ ثلاثتهم يفكرون، هل يصلح فريد قائداً؟ ولكن فكرة الراتب
جيدة! عندها قال فريد: لا تفهموني خطأ، سأضع عقداً أنظر فيه في
نسب نتائج العمل، فلن نحصل على نفس القدر من النقود بعد نهاية
العمل، فسأحصل كقائد على نسبة أكبر منكم، بما أنني سأدفع
الراتب خلال الفترة كاملة فعليكم أن توافقوا

وتجلس على كرسي خشبي رث، أمامها طاولة مستديرة
مزرکشة، عليها كرة زجاجية براقه، تحوم داخلها غيمة تتلون بين
الرمادي والأسود والأبيض.

كانت عرّافه متميزه بكل ما للكلمه من معنى، وكانت هادئه
كالأصنام، لا تتلفت مهما نظر إليها الناس، بل كان الانطباع أنها ترى
الجميع من حيث لا يرونها.

لقت العرّافه نظر الأربعة كما لقت أنظار الناس جميعاً من
قبل، ولكن الأكثر استثارة بينهم كان فريد، الذي قال: ما رأيكم بهذا؟
سأل بسّام: ماذا تعني؟

أوضح فريد: أن نسأل العرافه عن عملنا المشترك.

قال شادي: هل تظن أنها ستنفعنا؟ إنها تتنبأ فقط.

قال راوي: هي لا تتنبأ، إنها تشعّون، كل ما تقوله مجرد أكاذيب.

قال فريد ساخراً: أجل أجل، ستبقى كذلك طول حياتك، كئيب
ومشؤوم، أعط حياتك شيئاً من الإثارة.

وقام فريد بسحب الثلاثة إلى العرافه، وقال بسّام بلهجة
المهزوم: يجب أن لا نفعل ذلك، هذا لا يجوز.

ولكن فريداً كان الأقوى بينهم، قال: لست مضطراً لتصديق ما
تقول، فقط جرب.

يحيى بن يحيى

يحيى بن يحيى

يحيى بن يحيى

يحيى بن يحيى

يحيى بن يحيى

يحيى بن يحيى

كانت لهذه الكلمات وقع شديد على شادي، ولكنها أيضاً تابعت
النظر إلى الثالث، وقد كان راوياً، وقالت: أنت ستموت في متجر
معين... أنت تفهم ما أعني.
سكت راوي لا يصدق أن العرافة ربما تعني فعلاً ما تقول،
ولكنها أخيراً نظرت إلى الأخير وهو بسّام، نظرت ونظرت ثم قالت
ببساطة: أنت تموت بجلطة قلبية".



الفصل الحادي عشر

وماذا بعد ؟

قال أحد الأحفاد: "من الغريب أن تتنبأ بشيء كهذا!"

قال آخر: "هل سيكون لهذا التنبؤ أثر على حياتهم؟"

ابتسمت وقلت: "ربما، ولكن ما عليكم أن تلاحظوه الآن أن هذه

هي بداية العلاقة بين الأربعة، فقد وجدوا شيئاً مهماً يجمعهم"

قالت إحدى حفيداتي: "ولكنه ليس شيئاً جيداً"

قلت: "ليس بالضرورة أن يكون كذلك، أحياناً يجتمع الناس على

المصائب"

قال آخر: "ما كان عليهم أن يستهينوا بالأمر، مع ذلك لست

أرى كيف سيؤثر ذلك على مجرى الحكاية"

قلت: "بل سيؤثر، ولا تنسوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى

بشدة عن التكهّن وتصديق الكهنة، ولكن الأربعة سامحهم الله استهانوا

بالأمر، أما الآن فالوقت قد تأخر، وعليكم إكمال واجباتكم قبل النوم"

سمعت صوت اعتراض من أحفادي جعلني سعيداً أنهم انجذبوا

إلى القصة، ولكنني قلت: "سنتابع في الغد، في نفس الساعة".

الجزء الثالث
تحويل الأحداث

(متى)... تحوي اختباراً شديداً للمثابرة اليومية على الطاعات،
والاحتياط الدائم إلى أن يكون اليوم هو اليوم الأخير، رغم أن الأغلبية
تتناسى مثل هذه الحقائق الثابتة.

ولكن ماذا عن (كيف)؟

حضر أحفادي وتحلقوا حولي، يريدون متابعة الحكاية، هذه
الحكاية التي سيتحول مجراها، وتتغير محاورها، لتستعرض الحال
التي أصبح عليها كل من المفتسبين الناجحين الأربعة.

كيف كان أثر تنبؤ العرافة في حياتهم اليومية؟ وهل كان
قرارهم في الاستماع إليها أكبر خطأ ارتكبوه في حق أنفسهم؟

لم تكن لدى أحفادي أي أسئلة، بل لم يكن أحدهم يتصور ماذا
سيحصل بعد، فتابعت الحكاية أقول: "في اليوم التالي استيقظ بسّام
على سريريه الخاص في غرفته الخاصة في منزله المتواضع، كانت
اللوحات الفنية المتنوعة تزين جدران الغرفة من كل زاوية، ورائحة
الألوان تعم المكان.

كانت غرفته متوسطة الحجم، تتبعثر فيها الأفكار، فورقة
هنا، ولوحة هناك، وأقلام في كل مكان، ما كان لأحد أن يشك أنها
غرفة رسّام.

في الغرفة مرآة صغيرة لا يبدو أنه يستعملها كثيراً، وعلاّقة

سيارة الأجرة إلى المتجر حتى غادرها مسرعاً، ونسي أن يدفع الأجرة.

جلس بسّام إلى صديقه الذي عاتبه على التأخر، فاعتذر بسّام معللاً تأخره بأزمة المواصلات، وما إن جلس حتى تذكر أنه نزل مسرعاً من سيارة الأجرة ولم ينظر إلى العداد، بل إنه لم يدفع الأجرة! نهض مسرعاً وعاد إلى المكان الذي أنزله فيه صاحب الأجرة، ولكن السيارة كانت قد غادرت، يبدو أنه يئس من الانتظار.

عاد بسّام إلى صديقه يشعر بالأسى على الوقت الذي أضاعه صاحب الأجرة معه، لا بد أنه مستاء جداً.

كان صديق بسّام قد طلب طعاماً دسماً، وُضع على الطاولة أمامهما. كان منظر الطعام شهياً، طبق من المعكرونة المغطسة بالجبننة، ولحم مشوي مع خبز تشرب الدسم، ونقانق، وكبة محمّرة، بالإضافة إلى المقبلات والحلويات والأعصرة كلها وضعت معاً، لم يتمالك بسّام نفسه، فأمسك بالشوكة على الفور، وما إن غطست الشوكة في بركة المعكرونة حتى لمعت في رأسه صورة العرّافة.

رفع بسّام يده عن المائدة بسرعة، وبدأت الأفكار تدور في رأسه، هل يعقل أنه يتذكر تنبؤ العرافة الآن؟ هل سيطارده شبحها في كل وجبة! هل صحيح أنه سيموت بجلطة قلبية؟ وهل السبب هو هذا الطعام بالذات؟

تعرق بسّام بأفكاره، فقاطعه صديقه يسأله إذا ما كانت هناك مشكلة في الطعام، ولكن بسّاماً نفى ذلك وبدأ ياكل ببطء، لا يدري هل يشعر بتأنيب الضمير، هل يعقل أن يصدق أفاقة تؤدي السحر؟ رغم أنه كان يقنع نفسه أن العرّافة كاذبة، إلا أنه لم يستطع إكمال طبقه، جلطة قلبية... جلطة قلبية... كان كل ما يدور في رأسه. حل المساء، واقترب موعد اللقاء، فعاد بسّام إلى المنزل مشياً وقد أوصله صديقه إلى مكان قريب من المنزل.

نظر بسّام إلى الشارع أمام المنزل فوجد سيارة الأجرة ذاتها التي كان قد نسي أن يدفع الإيجار لصاحبها، ففرح برؤيته، وركض إليه يطلب منه الانتظار حتى يحضر بعض النقود من داخل المنزل. دخل بسّام المنزل فرحاً، فتح درجاً في مكتبه وحمل بعض النقود، عندها توقف لحظة يفكر، من أعلم صاحب الأجرة بمكان منزله؟ لقد استقله بعيداً عن المنزل!

فتح بسّام باب المنزل حائراً يسير إلى سيارة الأجرة، ولكنه توقف عندما رأى فيها العرّافة، ترتدي ثيابها السوداء، وتغطي وجهها بعقائد اللؤلؤ ذاتها، تجلس مكان السائق، وتنطلق بالسيارة بعيداً.

الفصل الثالث عشر الواحد تلو الآخر

سكت أحفادي وكأن على رؤوسهم الطير، ربما كانت أسئلتهم أكثر من أن تذكر، ولكنني تنهدت لأفصل بين الحكاية الأولى والثانية، وهكذا بدأت بسرد الأحداث التي مر بها فريد.

“أما فريد فكان يغسل سيارته العزيزة، سيارة السباق ذات السقف المفتوح، والسّماعات الصاخبة، رغم أن هناك خدماً في المنزل يقومون بأعمال التنظيفات، إلا أنه كان يحب أن يدل السيارة بنفسه، بل لم يكن يسمح للخدم أن يقتربوا منها، ولا لأحد أن يلمسها.

شخص وحيد هو المستثنى في هذه القاعدة، أخته الصغرى سرى، التي تبلغ الخامسة فقط، فقد كانت تجلس أينما يحلو لها، وتركب السيارة إلى جانب أخيها حيثما تنزه بها.

كانت سرى مدلة جداً من قبل العائلة، فهي الأخت الصغرى بين أخوين، فاتنة بشعرها الأسود الناعم، المنسدل على كتفيها، وعيونها الزرقاء، وفمها الصغير، وعيونها الحوراء.

طلبت سرى إلى فريد أن يصحبها في نزهة، ولم يكن ليرد طلباً مدلتها، فركبا السيارة وانطلقا.

الفصل الرابع عشر التالي

ظل أحفادي صامتين، وفضلت أن أتابع الرواية قائلاً: "أما شادي فقد كان يتجهز للقاء خطيبته، واصطحابها في نزهة قصيرة قبل موعد اللقاء. ارتدى أفضل الثياب، واستخدم أفضل العطور، ونسق شعره بشكل ملفت حيث ينال إعجاب الجميع.

كانت مخطوبته تسكن منزلاً جميلاً، يطل على حدائق خضراء وبساتين، بعيداً عن ضجة المدينة. كان المنزل على طراز أوروبي قديم، ينم عن ذوق رفيع، فلا عجب وصاحبه يهوى الفن.

صعد شادي الدرج الملتف، ودق جرس الباب، فأخبرته الخادمة أن قمراً كانت قد خرجت للتسوق مع زميلاتهما.

اتصل بها شادي هاتفياً، فأخبرته أنها ستعود في المساء، وبما أن موعد اللقاء قد تقرر أيضاً في المساء فلم يكن باستطاعة شادي أن يراها اليوم.

قرر شادي أن يشتري لها هدية بمناسبة قبوله للعمل الكبير، فدخل متجرّاً للمجوهرات، وقد كان الزبون الوحيد، وبدأ ينظر في القلائد وأسعارها.

ربما كان قد اختير لعمل فني كبير، ولكنه ما يزال لا يملك المال حالياً، وكان عليه أن ينتقي ما هو مناسب.

كان عليه أن يظهر بمظهر لائق أمام قمر ووالدها، فكان عليه أن يكون حذراً في الانتقاء.

نظر إلى خواتم الخطوبة، أمسك أحدها ليجربه على إصبعه، فتذكر العرافة تنبئه أنه سيموت في حفل زفافه، فأعاد الخاتم مكانه بسرعة، وابتعد عن الخواتم.

استشارت عينه قلادة فضية، بجوهره حمراء مدببة، وبعض الخزرات المتألثة حولها، أمسكها وتفحصها.

في هذه الأثناء دخل المتجر زبون آخر، وبما أنه كان يرتدي السواد فقد لفت انتباه شادي ونظر إليه، فإذا بها العرافة، بثيابها السوداء الرثة، واللالئ تغطي وجهها.

جفل شادي لرؤيتها، ولكن صاحب المتجر سأله عن القلادة التي يريد، فقال شادي مرتبكاً: ... لست أدري، كلها... جميلة.

وعاود النظر إلى الوراء حيث العرافة، وقد كانت تنتقي بعض المجوهرات أيضاً، وسارت إلى جانب التاجر، فأخذت بعض المجوهرات، ثم استدارت وغادرت المتجر دون أن تدفع.

نظر شادي إلى صاحب المتجر وسأله: أهى من الزبائن المهمين،

أم أنها تملك حصّة في المتجر؟

فسأله البائع: من هي؟

قال شادي: تلك التي خرجت الآن، العرّافة.

ابتسم البائع متعجباً وسأل: عرّافة!

فأكّد شادي: التي كانت قد دخلت الآن، وانتقت بعض

المجوهرات.

فضحك التاجر وهو يقول: ليس في المتجر أحد غيرك.

فقال شادي: التي خرجت الآن.

فأكّد التاجر: لم يدخل أحد مطلقاً.



الفصل الخامس عشر

الأخير

وأخيراً رويت ما حدث مع راوي وسط العيون الدهشة: "كان راوي قد انتهى من أعمال اليوم مبكراً، وعليه أن يتجهز للقاء.

جلس إلى إخوته الصغار قليلاً، اطمأن على دراستهم قدر المستطاع، ثم اغتسل وارتدى ثياباً مناسبة، وخرج مبكراً حيث قرر أن يسير على قدميه إلى الموعد.

كان طريقه يمر بين أسواق فرعيه، يبدو عليه أنه يعرف المكان جيداً، فقد كان واثقاً في سيره، لا يتلفت هنا وهناك.

مر إلى جانب حانة لبيع الخمر، تقع في زاوية بعيدة، حيث يبدأ عملها في منتصف الليل.

كان صاحبها يكنس المدخل، ولما رأى راوياً سلّم عليه بتحيةة عفوية، كصديق قديم وزبون يومي، وسأله عن الليلة كيف سيقضيها، ولكن راوياً لم يكن يدري بعد ماذا سيحدث بعد اللقاء، وعده أن يمر عليه فيما بعد، رغم أنه كان قلقاً، وربما لا يمر اليوم حيث أن تنبؤ العرافة لم يفارق رأسه لحظة.

مشى راوي ولمح من النافذة شخصاً داخل المحل، إنها العرافة!

كانت تضع بعض الثلج في كأس الخمرة.

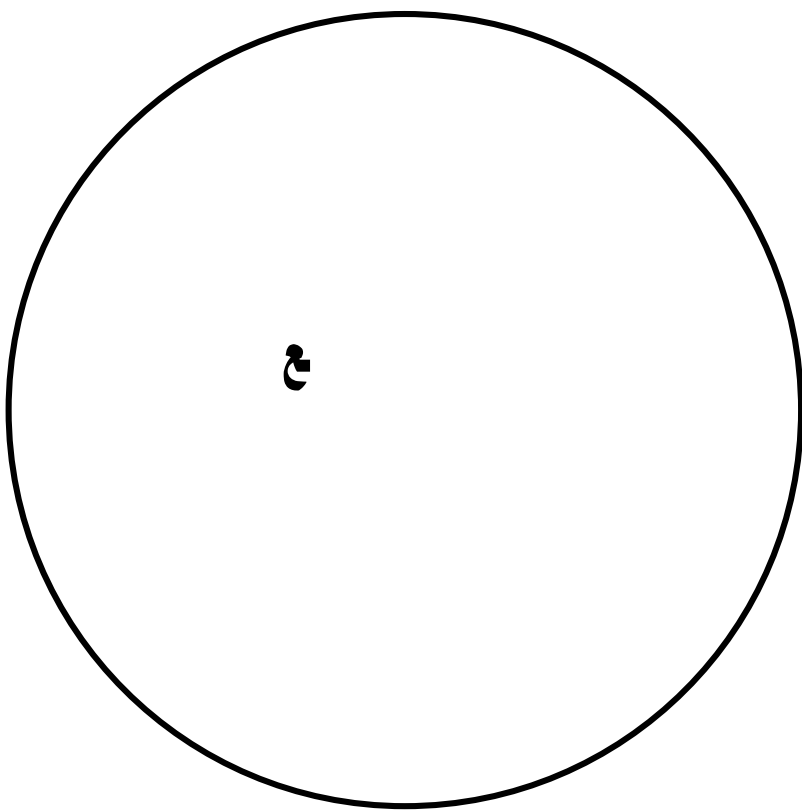
تعجب راوي لرؤيتها، وعاد يسأل صاحب المحل إذا ما كانت
زبونة للمحل، ولكن صاحب المحل أجابه أنه لا يفتح المحل قبل
الساعة الحادية عشرة مساءً، وليس هناك أحد في الداخل.

قرر راوي سريعاً أن يدخل، فتجاوز صاحب المحل، ودخل
ينظر حيث كانت العرّافة، ولكن أحداً لم يكن هناك!"

كانت عيون أحفادي قد امتلأت حيرة وفضولاً، وكان بعضهم قد
بدأ يشعر بالقلق، لذلك آثرت أن أُؤجل الحديث إلى الغد قائلاً: "هكذا
كانت البداية، وكان شبح العرّافة يطارد الأربعة كلاً على حده، ماذا
تريد؟ وماذا تنوي أن تفعل؟ هل سيرونها ثانية أم لا؟ هل ستفعل شيئاً
أم لا؟ هل سيصدق تنبؤها أم لا؟ وهل الأجل قريب أم بعيد؟"

لم ينطق أحد من أحفادي، فقلت: "هذا ما سأحدثكم عنه الليلة
القادمة، أما الآن فعليكم أن تحاولوا النوم".





أحفادي حولي، يرغبون متابعة الحكاية، وفي عيونهم شك في أن شيئاً جيداً سيحدث من الآن فصاعداً.

سألتهم: "هل تريدون المتابعة؟"

فقال أكبر أحفادي: "لم أتخيل أن تجري الأمور هكذا، أريد أن أعرف ماذا تكون العرافة"

قالت أخرى: "لماذا لا يراها إلا الأربعة؟"

ابتسمت وقلت: "ما يزال الحديث طويلاً، وثقوا أن الأمور ستزيد تشويقاً من الآن فصاعداً"

بلغ أحفادي ريقهم، فتابعت أقول: "اتجه الأربعة كل منهم تشغله أفكار محيرة، إلى حيث اتفقوا على اللقاء.

كان الملتقى في مطعم فاخر في حي مرموق من المدينة، وقد تعهد فريد على التكفل بكامل التكاليف.

كان فريد أول الواصلين، جلس إلى المائدة المحجوزة مسبقاً، وانتظر قدوم الآخرين.

كان المطعم برّاقاً، محاطاً بأجمل التحف واللوحات، ذو تصميم وتناسق عجيبين، وطلّة جميلة على المدينة، وأنغام جميلة من الموسيقى.

حضر شادي، ثم دخل بسّام، وكان راوي آخر الواصلين.

كانت هناك نظرة مشتركة بينهم، إنها الحيرة والتفكير العميق

بأمر غير منطقي ، وأبعد ما يكون عن الواقع.

تخيل كل واحد منهم أن الأمر سيكون سخيلاً إذا ما علم أحدهم بما جرى ، وأن الجميع سيسخر حيث أن زيارة العرافة لم تكن إلا للمتعة.

لم تفارق الأحداث رأس أحدهم ، ولكن فريداً حاول أن يكسر الصمت قائلاً: هل قررتم من سيكون القائد؟

كانت ردة الفعل مختلفة تماماً عما كانت عليه بالأمس ، فقد هز الجميع رؤوسهم بالتأييد وكأن الأمر لا يعنيهم.

سكت فريد ، إنه لا يحس بمتعة في المنصب الجديد ، وحضر الطعام ، وبدأ الأربعة تناوله دون أي حديث ، بل إن بعضهم قد سرح بعيداً حيث نسي تناول اللقمة التالية.

كان من المفترض أن تناقش الكثير من المواضيع ، ولكن أحداً لم يبدأ الحوار.

أخيراً أحس فريد بمسؤولية منصبه للمرة الأولى ، بل ربما بشعور المسؤولية للمرة الأولى في حياته ، وقال : علينا أن نفكر بجد في المشروع الذي سنقوم به ، وتذكروا أن الشيك لن يكون من نصيبنا إن لم نعمل بجد.

أيضاً لم تكن هناك ردة الفعل المرجوة من هذه الجملة ، فتابع

فريد قائلاً: على الأقل علينا أن نقرر في هذه الجلسة المهام الملقة على كل منا.

عندها قال بسام: من الواضح أن المهام قد وزعت مسبقاً، فكل منا له موهبته الخاصة.

قال فريد: نريد فكرة مشتركة للرواية، ماذا تقترحون؟
سكت الجميع، فنظر فريد إلى راوي قائلاً: أنت كاتبنا، ماذا تقترح؟

أجاب: أستطيع الكتابة في أي مجال تريدون، قرروا ما شئتم.
استغرق النقاش نصف ساعة حول الموضوع الأساسي للحكاية،
وشيئاً فشيئاً نسي الأربعة أحداث اليوم وأخذ الحوار كامل تركيزهم.
امتد الاجتماع ساعة أخرى، وقدم العصير مع طبق من الفواكه
الطازجة للجميع، وبدأ الإرهاق عليهم لكثرة التفكير، وأخيراً قرروا
المغادرة واللقاء غداً في المكان نفسه.

اتجه الأربعة صوب الباب، وكان يقف عنده موظف أنيق يحمل
أوراقاً للزبائن، كل زبون ينتقي ورقة يكشف ما بداخلها، ويقرأ
نصيحة اليوم، أو حكمة المستقبل.

أخذ الأربعة أوراقهم وغادروا، وقام كل منهم بفتحها على حده.
(لم يكن ذلك وهماً) كان ما كتب داخل الأوراق الأربعة.

الفصل السابع عشر في كل مكان

لك أن تتصور الشوق في عيون أحفادي إلى ما سيجري بعدها،
وأخيراً بدأ المطر يهطل، وبدأت أشعر بحماسة الرواية.

نطق أحد أحفادي بسؤال بعد طول صمت: "ألن يحدثوا بعضهم
شيء؟"

حفيدة أخرى: "سيكون ذلك أفضل"

لكن أحداً منهم لا يعرف ما جرى مع الآخر، وكل
المتعة فقط. ولم يعلم أحد منهم أن هذا ما

ساعة، ساعتان، ثلاث ساعات، بدأ الناس ينطلقون إلى
أشغالهم، وازدحمت الطرقات.

جلس بسام على إحدى المقاعد على الطريق، يحدق في الناس
يسيرون في جميع الاتجاهات، كل يعلم وجهته إلا هو.

ما يزال يفكر، ويفكر، ماذا يفعل؟ وهل هناك شيء يفعله؟ وهل
كان الوحيد الذي استلم تلك الرسالة في الورقة أم أن الجميع معنيون؟
نهض من الكرسي لا يدري أين سيذهب، ولكنه ما إن مشى
حتى سمع صوتاً يرتطم بالكرسي الذي كان يجلس عليه، نظر خلفه
فإذا بخرزات لؤلؤية سقطت وتناثرت من على الكرسي، نظر إلى أعلى،
لا يوجد شيء يسقط منه شيء كهذا! من أين جاءت تلك الخرزات؟
إنها تشبه تماماً خرزات العرّافة!



الثامن عشر

الفصل التاسع عشر الخطيبة

ظل أحفادي ينتظرون التالي، فتابعت الحكاية: "لم يستطع شادي أيضاً أن ينام الليلة، فكر كثيراً في أمر العرّافة ولكن دون جدوى. من تكون؟ ماذا تريد؟ لماذا تلاحقه؟

هل للشيك المفتوح علاقة بذلك؟ هل تنوي أن تسرقه؟ ولكن كيف؟ ولماذا تلاحقه هو بالذات؟ هل فعل شيئاً معيناً دون الباقين؟ هل هو مميز جداً عن الباقين؟

طلع الفجر أخيراً، وقرر أن يزور خطيبته بأسرع وقت علّه يريح نفسه من التفكير العقيم.

تعجبت خطيبته لقدمه في وقت مبكر، وعلل ذلك بشوقه الشديد لها.

جلس إليها، وبعد حديث قصير نظر إلى قلادتها وتذكرها جيداً، إنها ذات القلادة التي كان يحدد فيها في محل المجوهرات عندما دخلت العرّافة، قلادة فضية، بجوهره حمراء مدببة، وبعض الخرزات المتألّئة حولها، إنها هي بلا شك!

صرخ قائلاً: من أين لك بهذه القلادة؟

كانت ردة فعله مبالغاً فيها لدرجة أخافت خطيبته، ولكنه كرر السؤال مصراً عليها، فقالت باستهتار واضح: شخص أهداني إياها.

فصرخ قائلاً: من؟

قالت: ما بالك انفعلت هكذا؟

ولكنه أكد عليها: قلت من أعطاك القلادة يا قمر؟

أجابت: شخص أهداني إياها لأنني كنت أبدو جميلة.

فقال: رجل!

فابتسمت قائلة وهي لا تعي ما يرمي إليه: هل تغار إلى هذا

الحد؟

ولكنه أكد عليها ثانية: رجل أم امرأة طاعنة في السن؟

لم تفهم قمر مغزى كلامه، وظل الأمر محيراً لكلا الطرفين.



الفصل العشرون



ومر إلى جانب المقهى ذاته.

قرر الدخول وشرب كوب خمرة رخيص الثمن، وجلس في مقعد بعيد عن المقعد الذي لمح فيه العرّافة.

رغم أنه يذكر العرّافة، رغم أنه يذكر وجودها هنا، رغم كل شيء لم يستطع أن يقاوم الدخول.

شرب إلى أن نسي ما قرأ، ونسي كل ما جرى خلال اليوم، وسار مترنحاً إلى المنزل.

أمر واحد هو الذي لم ينسه رغم الشرب الكثير، قبر والدته، فقد كان يمر عليه كل يوم.

دخل راوي المقبرة مترنحاً، وكان الظلام قد غطى المكان، واقترب من قبر والدته ووقف أمامه يقول: مرحباً يا أمي، آسف أنني أقف بهيئة غير مناسبة، ولكنني أردت الوقوف إلى جانبك ولو للحظات.

كان الهدوء مخيفاً، ولكنه لم يكن يشعر بشيء أبداً، ولم يكن يحس أنه الوحيد الذي يقف في المقبرة في هذا الوقت المتأخر من الليل.

جلس ينظر إلى القبر، يقول: لقد تدهورت أحوالنا، ولم أعد أدري ما أفعل، إخواني جياع، يحتاجون إلى العون، وكلما كبروا كلما ازدادت حوائجهم، بت مديناً بديون لن أقدر على تسديدها ما حييت.

سكت وتنهد ثم تابع

يعيش معنا، هل كنت سأ

عندها لمح راوي الر

مل إلى الأسفل!

تقترب راوي من ال

تحتها عندها بدأ

تحت الش

الجزء الخامس
يوميات

الفصل

قال أحد أحفادي: "هل نتابع الحكاية؟"

قلت: "أنا جاهز في أي وقت"

"ألن يتحدثوا إلى بعضهم عما جرى، لقد عرفوا العرافة

جميعهم"

"إنهم بحاجة إلى فرصة تجمعهم لذلك"

"وهل ستسرح هذه الفرصة؟"

فتابعت حديثي قائلاً: "سنرى عمّا قريب، أما الآن فعليّ أن

أحدثكم عن حياة بسّام اليومية.

كما سبق أن أخبرتكم أن بسّام يعيش حياة روتينية مملة، أوضح

لكم الآن يومياته بالتفصيل.

يستيقظ بسّام الساعة الثانية عشرة ظهراً، والده ووالدته قد

خرجوا إلى العمل في الصباح الباكر.

يتجه إلى الهاتف، يتصل بالتوصيل المنزلي، ويطلب وجبة

جاهزة إلى المنزل.

يغسل وجهه، ويصلي الظهر، ويرتب سريره إلى أن تصل

الوجبة.

إنها بيتزا بالدجاج، مع عصير غازي وبطاطا.

يتناول بسّام الفطار -كما يسميه- بنهم، ويشاهد أي فيلم

يعرض على التلفاز إلى الساعة الثانية ظهراً، حيث تتراكم أكوام الطعام حوله في أرجاء الغرفة، ويستلقي على الأريكة أمام التلفاز.

في الساعة الثانية يجلس إلى الحاسوب، ويبحث في الإنترنت عن رسومات جديدة، ورسامين صاعدين، ويتحدث إليهم ويناقشهم في مستقبل حياتهم ومصير أعمالهم.

وإلى النتيجة نفسها، ليس هناك من فرص عمل قريبة، الجميع يعاني نفس المشكلة، ليس هناك وظيفة تناسب اهتماماته، يغلق الحاسوب الساعة الخامسة، ويلاحظ عودة والديه منذ ساعات، كلاهما منشغل.

يخرج إلى مطعم مختلف كل يوم، يتناول غداءه مع بعض أصدقائه القديمين، أيضاً لحم وبطاطا، ثم يتنزه في الساعة السابعة في الحديقة العامة إلى الساعة التاسعة مساءً.

في الساعة التاسعة يعود إلى المنزل وقد حذر في الكثير من الناس خلال اليوم، وكوّن أفكاراً جديدة لرسومات مختلفة.

يمسك بالقلم، ويرسم على ما يحلو له، من قصاصة ورقة صغيرة إلى جدران المنزل، ويستخدم الألوان التي تناسبه، من قلم الرصاص إلى ألوان الحاسوب، ويتابع الرسم إلى الساعة الثالثة صباحاً.

هذا كان يوم بسّام، ولم يعد يميز بين أيام الأسبوع، فيوم السبت مثل يوم الجمعة تماماً.

حاولت والدته أن تحدثه قليلاً عن تغيير الروتين، عن وظيفة
مؤقته على الأقل، عن الالتحاق بمركز رياضي، ولكن لا جدوى.
أخيراً فتحت الجامعة أبوابها، والتحق بها، وفاز بالشيك
المفتوح، وفتحت الآفاق أمام إبداعه الشخصي، وكل ما كان يحلم به
بات الآن قريب المنال.

ولكن الروتين ما يزال كما هو! متى سيبدأ العمل الجدي، وهل
سيبدأ؟ إذا لم يتفقوا على العمل بجد فإن كل آماله ستذهب أدراج
الرياح. هل سيرضى؟

هل يريد فعلاً أن تتغير حياته أم أنه كان سعيداً بها كما هي؟
هل فعلاً يريد أن يعمل؟

إنه لا يدري، ولكن الروتين اليومي كان قد طغى على حياته
بشكل كبير، ولم يعد يتخيل أن يندمج في مسؤولية ما.

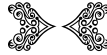
والآن جاءت العرافة لتكسر الروتين بقوة، إنه يشعر أنه
مراقب، لقد أخبرته أنه سيموت بسكتة قلبية، وماذا تريد بعد؟

حتى وإن كان سيموت بسكتة قلبية، فهذا لا يعني أن الأمر
قريب، فمعظم الناس يموتون بالسكتة!

والتكسي، والآلى؟

وماذا بعد؟

هل يستطيع أن يتناسى كل ما جرى؟
ماذا عن الباقين؟ ما كانت الرسالة التي استلموها من المطعم؟ هل
كان الوحيد الذي استلم تلك العبارة الغريبة؟
موعد الاجتماع التالي هو الساعة الثامنة مساءً في مطعم آخر كما
عيّن فريد، وهل يصلح فريد قائداً للفرقة؟ ربما كان هذا آخر همه.
رغم كل هذا التفكير، استوقف بسّام نفسه في محل لبيع الفطائر
السريعة، واختار فطيرة باللحم والبطاطا كالعادة.
بدأ بسّام يقضم أول قضمة حتى سمع صرخة من داخل المطعم،
نظر بسرعة إلى حيث الصوت، فإذا بتجمع من الناس يصرخون عندما
سقط أحد الزبائن صريعاً على الأرض أثناء تناوله الطعام.
لم يستطع بسّام الاقتراب حيث بدأ عمّال المطعم يدفعون بالناس
إلى الابتعاد، وبدؤوا الإنعاش القلبي إلى أن حضرت سيارة الإسعاف.
ظل بسّام يرقب السيارة إلى أن غادرت، وفقد شهيته لكل طعام،
ووضع فطيرته على الطاولة وخرج".



إلى أي مكان، وكانت تستمتع بلحظات السرعة والمسابقة في الطرقات العامة.

بالنسبة لفريد فإن كل يوم يجب أن يكون مميزاً، ولكل يوم طعام ومغامرة، وهكذا اعتادت أخته سرى على المغامرة اليومية.

مثلاً خرج فريد معه سرى إلى السوق، وطلب وجبة لكليهما، دفع الحساب مسبقاً ليتجه مع سرى إلى متجر الألعاب لتشتري لعبة.

وحين صار الطلب جاهزاً عاد فريد وحده إلى المطعم، واستلم الطعام وخرج، بعد دقيقة دخل فريد مع سرى إلى المطعم يطلبان الوجبة.

تعجب صاحب المطعم، وأخبره أنه أعطاه الوجبة للتو، ولكن فريداً قال إنه لم يستلمها، وكذلك أكدت سرى أنهما لم يعودا إلى المطعم إلا الآن!

بقي صاحب المطعم في حيرة من أمره، ولكن فريداً بدأ ينزعج من المعاملة الرديئة للمطعم، وأنه قد دفع مسبقاً لطعام لم يستلمه.

ارتبك صاحب المطعم وأعد لهما طعاماً جديداً على حساب المطعم، وأخذ الوجبة بانزعاج وغادرا.

بعد خمس دقائق عاد فريد وحده، واعتذر لصاحب المطعم أنه لم يدفع ثمن الوجبة التي أخذها، فدفعت الحساب وتعجب صاحب المطعم

عندها فتح فريد باب المطعم، ودخل مع سرى ليجد صاحب
المطعم نفسه يقف أمام نسخة مطابقة للشخص ذاته!

كلاهما حليق الشعر، ذو لحية صغيرة متشابهة، في الطول
نفسه، في العمر نفسه، في الحجم نفسه! إنهما نسخة متطابقة!
ضحكت سرى وهي تنظر إلى صاحب المطعم، وقالت: إنه
الضحية الثالثة هذا اليوم.

ضحك فؤاد، وهو الأخ التوأم لفريد وقال لصاحب المطعم: لقد
كانت معك الكميرا الخفية، شكراً لسعة صدرك وحسن معاملتك.
ضحك صاحب المطعم، وبروح رياضية اجتاز الموقف.
وخرج الثلاثة يضحكون.

اتجهوا إلى الشاطئ، وتناولوا المثلجات، وقرروا أن يلعبوا كرة
اليد.

ذهب فريد إلى المواقف حيث سيارته ليحضر منها الكرة، اتجه
إلى صندوق السيارة الخلفي ليفتحه فإذا بالسيارة تقطر شيئاً ما، إنه
لون أحمر يخرج من الصندوق!

تردد فريد في فتح الصندوق ولكنه تمالك نفسه وفتحه ببطء،
وفوجئ بجثة فتاة مطعونة في الداخل، ملطخة بالدماء!

لما هي، واتجه فوراً إلى أخيه فؤاد

على الشاطئ يلهث بشدة، ولم يستطع شرح الأمر حيث أنه لم يستطع أن ينطق بما رأى، كما لم يستطع أن يكرر ذلك أمام أخته الصغيرة، ولكنه أمسك ذراع فؤاد وسحبه ليركض معه.

وصل فريد مع فؤاد الذي لا يدرك بعد ماذا جرى لأخيه، إلى المواقف، واتجها صوب سيارة فؤاد، ودخل فؤاد إلى الصندوق الخلفي لسيارته فوجده مغلقاً! إنه متأكد من أنه مفتوحاً! كما أن السيارة نظيفة بالكامل، وليس هناك آثار دماء على الأرض! نظر فؤاد إلى أخيه متعجباً، ولكن فريداً فتح صندوق السيارة بسرعة، فلم يجد شيئاً! هل كان يتوهم؟

الفصل الثالث والعشرون التجهيزات

هتف أحفادي معاً ”

تعرف شادي على والدها حيث كان أحد ممولي الحفلة، وكان يرجو أن يشارك في حفلة راقية كهذه، ويعزف أمام حضور كهذا، وخلال الحديث تعرف على قمر التي جاذبته أطراف الحديث، وتقرّب إليها أملاً في أن يقوم والدها بمساعدته في تحضير حفل خاص به ينطلق فيه إلى النجومية.

لم يطل الحديث الرسمي طويلاً، فبعد أن عرف القليل عنها، استطاع أن يتتبع أخبارها، وأن يتحدث إليها مرة أخرى. أخيراً أخذ الحديث مساراً جدياً، وتقدم شادي لخطبة قمر، ووافق والدها حيث كان يرى في شادي مستقبلاً باهراً.

أقيم حفل الخطبة في فندق فاخر، اضطر لأجله أن يستدين شادي ثلاثة أضعاف ما خطط من أجله، مما أدى إلى تأجيل خطة الزواج عاماً كاملاً.

بينما كان شادي يجمع المال اللازم للزواج، كانت قمر تصرف هنا وهناك دون اكتراث، وغالباً ما كانت تشتري ما هو فاخر، فيضطر شادي إلى إهدائها ما ليس بأقل من ذلك.

كان كلما خرج معها إلى مطعم كانت قد عرفت مطعماً أفضل منه، وكلما أحضر لها جوهرة كانت تملك أثمن منها، وكلما اشترى لها ثوباً كان عندها ما هو أرقى، ولكن كل ذلك كان يهون للمخطط الأكبر.

كان يحاول أن يسألها عن ماهية المنزل الذي سيسكنونه، ولكنها لم تجبه جواباً واضحاً على الإطلاق، كل ما كان يهتمها أن تكون معه، وأن يسعددها.

كان هذا رداً لطيفاً، ولكنه لم يشعر شادياً بالارتياح يوماً، فلم يكن جواباً صريحاً واضحاً، عليه أن يوفر ما هو مناسب حتى لا يخذل والدها. ترك شادي الأمور تسير على ما هي عليه، إلى أن ظهرت الجامعة، وفتحت أبوابها، ونجح في أن يكون من الفائزين بالجائزة، ولكن كان كل شيء بعيداً بالنسبة لشادي، الشيك، الجائزة، الفيلم، حتى الزواج، كل شيء يبدو بعيداً.

ق كل هذا ظهرت العرافة، لا يدري أي شبح هي، وماذا

ذهب شادي إلى الشاطئ وحمل كمانه وبدأ يعزف، لعله يخفف من التوتر الذي بات يحيط بحياته في كل جانب.

عزف مقطوعة هادئة، وتجمع حوله بعض المتنزهين في الشط، لقد أثنوا على إبداعه كثيراً، وشعر أخيراً أن هناك بصيص أمل، إنه يملك الموهبة، وعاد إلى فخره وزهوه، إنه قادر على فعل المستحيل، والجميع يتمنون أن يكونوا مثله، ومن هؤلاء الناس ليثنوا عليه، إنهم ليسوا الجمهور المطلوب، إن جمهوره هناك في المسرح بانتظار نجم المستقبل.

انفض الناس من حوله، ولفت انتباهه من بينهم فتاة وشاب في مقتبل العمر يمسكان ببعضهما في شغف، إنهما يرتديان خواتم الزواج، لابد أنهما حديثا الزواج.

تخيل نفسه وقمر أخيراً في هذه الصورة، بل ربما أجمل، وقد حقق له والدها كل أمنيته، وتمت له الحفلة بنجاح.

ثم نظر إلى البحر، كانت هناك الكثير من الزوارق السياحية تحمل المحبين فيها، تتجول في الأجواء الجميلة.

عندها لاحظ في إحدى الزوارق التي تحمل ما يقارب العشرين راكباً، العرّافة بينهم! إنها تسير إلى مؤخرة المركب دون أن ينتبه إليها أحد.

٤

الامم

لستين متتاليتين بعد أن أصيبت بصدمة عصبية بعد سقوطها،
وخرج والدها المنزل.

بعد ذلك يتجه راوي إلى العمل تاركاً دراسته جانباً، فيقوم ساعة بأعمال حفرية وبنائية، وتارة بأعمال تسويقية بسيطة، وتارة بتوزيع الجرائد الصباحية، فقد كان يعمل ما يتيسر له من عمل، وأحياناً أكثر من عمل خلال اليوم الواحد.

لم يكن يتناول شيئاً بين الفطار والعشاء، وغالباً ما كان يوفر كل ما يحصل عليه من أجل إخوانه.

في الساعة الثانية ظهراً يقوم راوي باصطحاب أخيه سامي إلى المنزل، وإيصال رشا وهناء كذلك.

يتناولون الغداء وحدهم في المنزل بينما يغادر راوي ثانية لمتابعة العمل.

في الساعة العاشرة مساء يعود راوي إلى المنزل ليتأكد أن رشا وهناء قد أنجزتا فروضهما، بينما ينام سامي مبكراً.

ثم يعاود الخروج، يتابع العمل إلى الساعة الواحدة ليلاً، عندها يتجه إلى حانة لبيع الخمر، هناك يقضي ساعتين في الشرب، ثم يعود إلى المنزل بطريقة أو بأخرى في ساعة لا يدري متى هي.

بدأ راوي عادته في الذهاب إلى هذا المتجر بعد وفاة والدته، ومغادرة والده البلاد دون أن يسمع أي خبر عنه، كان قد وضع أمام الأمر الواقع، عليه الاعتناء بثلاثة أطفال، بينما كان هو نفسه طفلاً.

على الورق، كما كان أحرص على حفظه في مكان

لم يكن أحد من إخوته يعلم بتردي

ألا يعرف أحدهم ذلك، فقد كان

الأبد، ولكنه لم يكن ليقدّر

وأخيراً ظهرت

المفتوح جماعة،

أبى والدته، وقد كان هذا

ل؟ عليه أن يعمل مهما

ت هنا وهناك خشية

وليس يكسب راوي نقوداً

من ما تقوى الإنتاج لهذا

نوته إلى المور هذه المرة اتجه مباشرة

و. جلس ينظر من النافذة لقد كانت غائمة،

غريباً، إنه سامي! يمشي وحده العمارات

على الحافة!

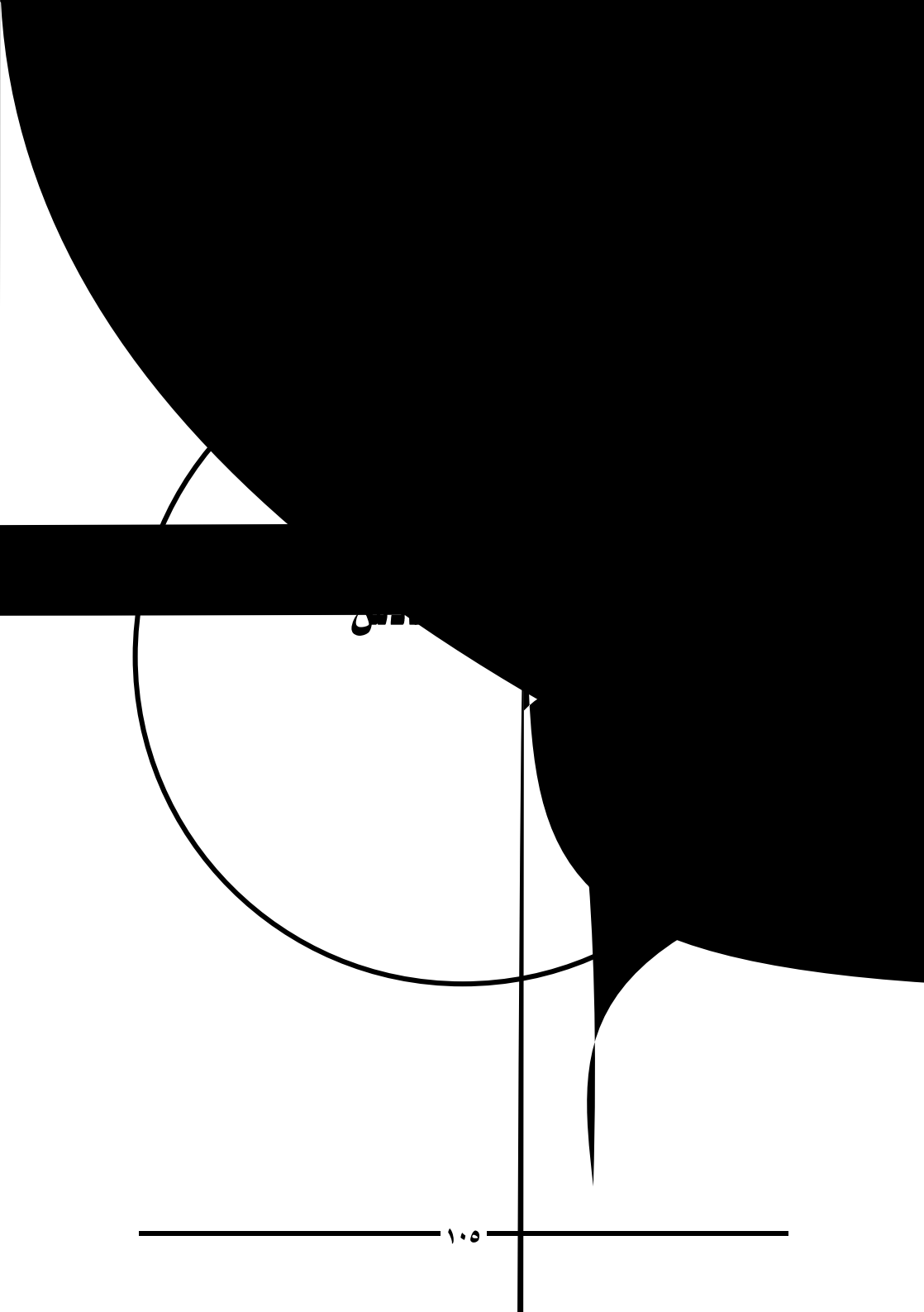
قلقلًا، ولكنه رأى أسوأ ما تخيل، لقد انزلت قدم

العمارة!

في الحانة

العمارة ليبحث عنه في السطح، ولكنه لم يجده هناك!
ماذا يفعل الآن؟ إن قلبه يخفق بشدة، هل كان يتوهم؟ هل عليه
أن يبحث أكثر؟ هل كان أثر السكر فحسب؟
استغرق راوي وقتاً في التفكير، ولكنه قرر أخيراً أن يهرع إلى
المنزل لينظر إذا ما كان هناك، فليس هناك أي تفسير لخروجه وقطعه
تلك المسافة الطويلة لوحده.
دخل راوي المنزل، وفتح باب غرفة النوم، فوجد إخوته الثلاثة
راقدين بهدوء، وسامي كان بينهم.
اقترب منه ليطمئن قلبه، إنه ينام بسكون تام.
حمد الله والتف ليغلق الباب، عندها لاحظ سواراً من اللآلئ على
يد سامي، لم يكن قد اشتراه له من قبل بكل تأكيد، ولم يكن على يده
عندما غادر المدرسة، من أين له بهذا؟
نظرت إلى أحفادي بعد آخر جملة، إنهم منصتون بكل تركيز،
ثم نظرت إلى الساعة وقلت: "هكذا أنهينا الحديث عن يوميات أبطالنا
الأربعة، وغداً بإذن الله سنتابع الحديث المشوق فيما بينهم".





الفصل الخامس والعشرون

اللقاء الثاني

مرت خمسة أيام على روايتي، وهذا هو اليوم السادس، كم تمضي الأيام بسرعة.

رغم جلوسي المستمر أمام النافذة في هذا البرد القارس، رغم التفاني بلحاف خشن ليعطيني الدفء المناسب، ما زلت أشعر أن جسدي تفيض من داخله روح الشباب.

ربما كان ذلك مضحكاً، ولكن مراقبتي لأحفادي يذهبون ويعودون من مدارسهم تجعلني أشعر أن مدرستي كانت بالأمس، وأنني لربما استيقظت غداً، لأنهمض من فراشي، وأرتدي ثيابي المدرسية، وحقيبتني، وحذائي، لأركض إلى المدرسة بنشاط.

قد لا يصدقون ذلك، بل قد يضحكون حتى من فكرة أنني التحقت بالمدرسة يوماً ما، وأنني شاركت بالعديد من النشاطات.

رسالتي إلى أحفادي أن يعيشوا كل يوم بيومه، فالיום الذي يمضي لن يعود، فلا يدعوا للحسرة طريقاً إلى نفوسهم.

رسالة كهذه لن يكون لها أي وقع في قلوب شباب في مستقبل العمر من عجوز هرم، ولكنها اليوم لي كنز كنت أتمنى لو أهداني إياه

جدي في الصغر.

أخيراً اقتربت الساعة المنتظرة، وأنهى أحفادي دروسهم بسرعة، وتجمعوا جميعهم حولي ليكملوا الحديث حول ما سيجري للفائزين الأربعة.

قفزت حفيدتي الصغيرة وقالت: "ماذا عن إحسان؟ كيف كانت حياته؟"

ابتسمت وقلت: "سيحين الحديث عن إحسان لاحقاً، أما الآن فقد حان موعد اللقاء الثاني.

اجتمع الأربعة في الليلة التالية في مطعم مختلف، هذه المرة كان فريد آخر الواصلين حيث اضطر للسير على الأقدام، فقد أصبح يخشى قيادة السيارة.

كما وصل الثلاثة الآخرون بثياب لا تتناسب مع المطعم المختار، فاضطروا للخروج من المطعم إلى مطعم آخر.

كانت هذه أهون المصائب، ولم يعلق أحدهم على ما جرى ولم يعترض، كلهم ذهبوا إلى مطعم صغير بسيط بكل هدوء، جلسوا فيه، وطلبوا العصير.

لم ينطق أحدهم، حتى فريد كان صامتاً وكأن على رأسه الطير. أخيراً سألت بسّام: هل لي أن أسأل سؤالاً ربما يكون فضولياً؟

قال فريد: ماذا؟

قال بسّام: ماذا كُتب لك في التي أخذناها من المطعم

السابق؟

سكت الثلاثة، ثم نظر بسّام في الحقيبة، فسأل شادي: لماذا

تسأل؟

عندها قال بسّام: انسوا ذلك، فحول فحسب.

عندها قال راوي: لقد كُتب في الحقيبة شيء سيء.

سكت الثلاثة، وأخيراً تسوّى: (لم يكن ذلك وهماً).

ارتعد الثلاثة لسماع الجواب، وأخيراً اعتقدوا أنهم

الأربعة في المشكلة نفسها".

الفصل السادس والعشرون

ماذا يجري ؟

قالت أصغر حفيداتي: "وأخيراً!"

ابتسمت وقلت: "لم يطل ذلك كثيراً"

قال آخر: "بل طال كثيراً، الآن يسهل التفاهم فيما بينهم"

قلت: "هل تظن ذلك؟"

قالت إحدى حفيداتي: "وهل هناك مشاكل أخرى؟"

عندها تابعت أقول: "لم ينته الحديث بعد، على كل حال بات

الحديث أكثر انفتاحاً، وسرد كل منهم ما استطاع إظهاره للآخرين من

أمر العرّافة، وعلى الأقل استطاعوا التأكد من أن أحدهم لم يكن واهماً

فيما يجري له.

بدأ الأربعة يفكرون فيما يجري، ومن يفعل بهم ذلك، ولماذا؟

كان رأي فريد أنه شخص يريد الاستيلاء على الجائزة، لذلك

يريد منهم أن ينسحبوا.

وكان رأي بسّام من رأي فريد، أما شادي فقد كان يظن أن ما

يحدث لهم هو بسبب تعرضهم للعرافة في بادئ الأمر، وأن الأمر لا

علاقة له بالجائزة.

أما راوي فقد ظن أن العرافة تريد بهم سوءاً مهما كان هدفها الحقيقي.

السؤال الأهم كان من هي تلك العرافة، يبدو أنها شخص يعرفهم جيداً، أو على الأقل قامت بمراقبتهم بشكل دقيق.

قال بسّام أنه لم يلاحظ شخصاً بعينه فيما حدث له، فقد كان الناس مختلفين في كل مرة قابل فيه العرافة.

كذلك أكد الثلاثة أن ليست لديهم أي فكرة من تكون.

لم يستطيعوا التوصل إلى أي معلومة دقيقة، كل ما عرفوه أنهم معاً في المشكلة نفسها، ولكن ما العمل؟

عندها قدم صاحب المطعم بنفسه إلى طاولتهم، وانحنى ليهمس لهم ما لا يسمعه غيرهم: أرجو أن تغادروا حالاً.

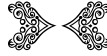
فقال فريد

غادر الأربعة المطعم قلقين، لا يدرون ما جرى، ولكن راوياً
عاتبهم قائلاً: كان علينا أن نضغط على صاحب المطعم لنعرف السبب،
فهو يعرف شيئاً ما.

فرد عليه فريد: كان مستعداً لدفعنا بالقوة إلى الخارج على أن
يتفوه بأية كلمة.

قال شادي: إنه مهدد بالقتل.

حدق الأربعة بشادي الذي قال: وهل هناك تصور آخر لديكم؟
صمت الأربعة، هل يعقل أن تكون الأمور قد وصلت إلى هذا
الحد؟".



الفصل السابع والعشرون إلى الجامعة

سأل أحد أحفادي: "ألا يظن الأربعة أن الجامعة المربية كانت وراء شيء من هذا القبيل؟"

قلت: "لقد سبقتهم إلى ذلك بلحظات، فقد اقترح بسّام أن يعودوا إلى الجامعة حيث كانت العرّافة هناك بادئ الأمر، لربما كانت هناك قوائم بأسماء المشاركين في الاحتفال، بل ربما يكون هناك ملف خاص بطبيعة الأعمال المشاركة وصاحبها أيضاً."

ولكن الجامعة كانت قد أغلقت، ولم تفتح أبوابها منذ يوم التخرج، وعادت البناية المربية الصامتة من جديد.

وقف الأربعة أمام البوابة يفكرون فيما يتوجب عليهم فعله الآن، فقال فريد: ربما تكون الجامعة وراء كل ذلك من البداية.

نظر الثلاثة إليه، فقال: ربما لا تريد لنا أن نحصل على الجائزة.

فقال شادي: لم يجبرهم أحد على هذا العرض السخي.

قال فريد: ربما، ولكنه عرض سخي جداً.

لم يستطع أحد منهم أن يصل إلى أية نتيجة، فقال بسّام: لنسأل

التاجر القريبة إذا ما كان أحدهم على صلة بأحد الأساتذة.

كان خياراً ضعيفاً، ومع ذلك تفرق الأربعة يسألون المتاجر واحداً
تلو الآخر عن أي من الأساتذة، وكأنهم كانوا يتعلقون بأرفع الخيوط.
رغم كل الإشارات السلبية ظهر بريق واضح، فقد سأل راوي
أحد المتاجر، فكان ابن صاحب المتجر يعرف منزل الأستاذ إحسان،
فقد قام بإيصال طلب خاص إلى المنزل.

انتعش الأربعة بهذا الخبر، وحصلوا على العنوان وأسرعوا إليه
أملاً في الحصول على أية معلومة، فإحسان كان من أفضل الأساتذة
وأكثرهم تعاوناً، ولو كانوا يتمنون لقاء أحدهم لتمنوا لقاء إحسان من
جماليّاً

فقال فرید: ته الأمر شخص

شخص آخر لما صدقت، ولكنني أثق أنك صادق. ولكن ما علاقتي بالموضوع؟

قال شادي: نريد أن نعرف من تكون تلك العرّافة، هل هناك من أسماء للمشاركين في حفل التخرّيج؟

أجاب إحسان: كان حفلاً حراً، كل الناس حضروا.

أكّد شادي: ألم تكن هناك أسماء بالمشاركين في جامعة منظمة؟

ابتسم إحسان وقال: الجامعة منظمة، ولكن الحفل كان يفترض به أن يكون عاماً للجميع، لقد شارك فيه كل الناس، من داخل الجامعة وخارجها.

قال شادي: ألا توجد أية وسيلة لنحصل على أي خيط نبدأ فيه البحث عنها؟ نقابل رئيس الجامعة مثلاً.

قال إحسان: رئيس الجامعة نفسه لن يجيبكم على هذا السؤال، ثم إنني لا أعرف رئيس الجامعة!

تذكر شادي الطابع الغامض للجامعة، ومع ذلك فقد تعجب أن أسألتها لا يعرفون الرئيس! فسأل: على الأقل دلني على أي أستاذ آخر، لست أجد أية وسيلة أخرى سوى السؤال.

ضحك إحسان، وكأن شادي لم يفهم بعد ما يقول: أنا لا أعرف أحداً من الأساتذة أيضاً.

كانت الدهشة واضحة على وجه شادي، فأوضح إحسان قائلاً:
جميعنا تعرف على الآخر في الجامعة، ولا تنس أننا نختار أسماء
مستعارة، ومن المصادفة فقط أنني اخترت اسمي المستعار هو ذاته
اسمي الحقيقي، وإلا لم تكن لتعثر علي مهما فعلت.
فسأل شادي مباشرة: ولماذا كل هذا الحرص على إخفاء
هوياتكم؟

فقال إحسان: هوياتنا وهوياتكم أيضاً، فهل اسمك الحقيقي هو
شادي؟

طأطأ شادي يفكر قليلاً ثم قال: نعم، إنه اسمي الحقيقي، أنا
أيضاً رفضت فكرة الاسم المستعار، أحب أن أنادي باسمي.
ابتسم إحسان وقال: هذا أمر يجمعنا، يبدو أننا نفهم بعضنا،
وربما كان هذا سراً في اختيار المدرسين والفائزين".



الفصل الثامن والعشرون

تحقيق

هتفت أصغر حفيداتي: "يا لله! إحسان"

قال أحد الأحفاد: "لم يسعفهم إحسان على الإطلاق"

فقال آخر: "ماذا يعني أنه لا يتاجر بالفن؟ يستطيع أن يكون مشهوراً وغنياً"

فقلت: "رغم هذه الإجابة المختصرة إلا أن شادياً كان قد فهم كل ما يرمي إحسان إليه.

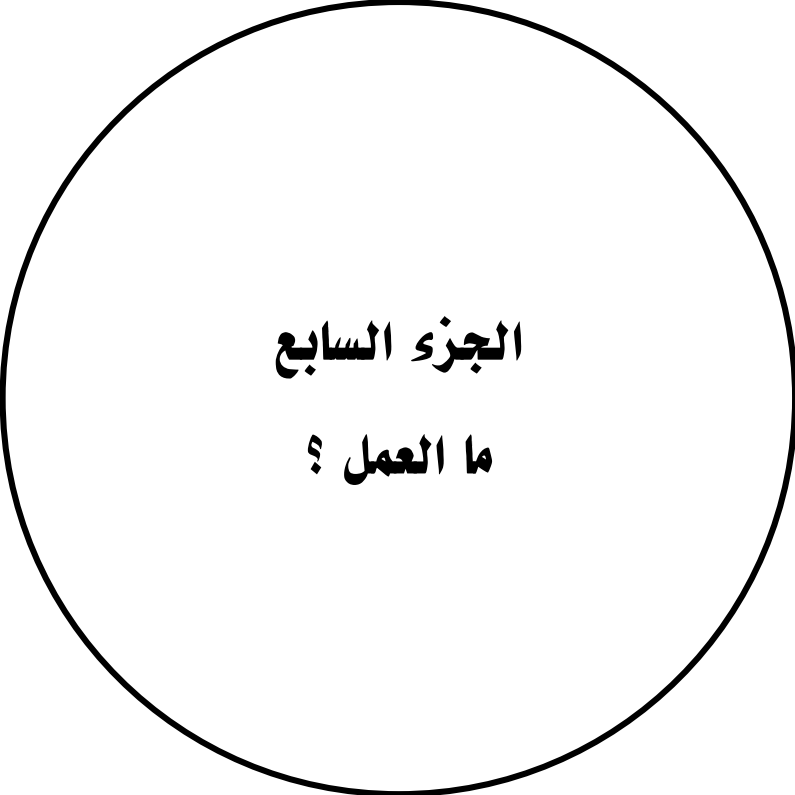
خرج شادي إلى زملائه الثلاثة، وأخبرهم عن مدى سرية الجامعة، وأن أحداً منهم لا يدري شيئاً عن الآخر، وأنه لا توجد أسماء للمشاركين في حفل مفتوح.

فسأل فريد من فوره عن السبب الذي يجعل الأستاذ إحسان يعمل عملاً لا علاقة له بالموسيقى، فأجاب شادي الإجابة البسيطة: إنه لا يتاجر بفنه.

سكت الثلاثة، ولكن شادياً كان الآن مقتنعاً بما سمع، فقال: لقد قام بتعليم الفن، ولكنه لا يتاجر به، إنه يحب الفن لذات الفن، ويظن أن النقود تفسد الفن.

سبعة وحدهم بمن يشاهد الجرذان، خرجوا من المطعم

فهم صاحب المطعم يقول



الجزء السابع

ما العمل ؟

الفصل التاسع والعشرون

قلق

نمت ليلة هادئة، واستيقظت في الفجر على صوت الأذان، بات النهوض والوضوء أمراً مرهقاً، ليتني كنت أنهض بسرعة أكبر عندما كنت شاباً.

هل هذه أمنية لعودة الشباب، هذا الحلم الذي راود الجميع منذ الأزل؟ أم أنه ندم على تلك الأيام؟
هل كنت مقصراً؟ هل كنت لأفعل أكثر مما فعلت لو عدت الآن شاباً؟

لربما كنت سأهوي أكثر، لربما كانت الشيخوخة مرحلة نرحم فيها أنفسنا من التجبر ونسيان القدر المحتوم.

لم يكن عبثاً، الطفولة ثم الشباب، وحتى الشيخوخة، لم تكن أي مرحلة قد رُسمت عبثاً، جميعنا يسير الطريق نفسه، هذا عدل مطلق، ولكن الظلم هو من عند أنفسنا.

نظرت إلى أحفادي المتفاوتين في العمر، كل منهم ينهض متثاقلاً إلى المدرسة، بل إن آباءهم يحثونهم على الصلاة قبل أن يخرجوا، تمنيت أن أرى أحدهم يصلي بنشاط وحبور.

لماذا لا ينظرون إلي؟ لماذا لا يشعرون بي؟ لماذا لا يعتبرون قبل
فوات الأوان؟

لماذا أعاتبهم؟ ألم يكن لي جد أيضاً؟ ألم أكن مثلهم تماماً؟
إنه ليس العتب، إنه الحب، أحب أن يعرفوا ما لم أعرف، أن
يفعلوا ما لم أفعل، أن يكونوا أفضل مني.

عدت أخيراً إلى جلستي المعهودة، وانقضى الوقت في التفكير
والتأمل، إلى أن حانت الساعة المسائية المعتادة، وتجمع أحفادي
حولي، متلهفين للمتابعة.

قال أحدهم: "لا جردان اليوم رجاء"

فقلت أخرى: "أجل، عدنا بذلك"

ضحكتُ وقلت: "أعدكم، ولكن الأربعة الآن باتوا على يقين أنهم
لن يستطيعوا متابعة العمل على هذا النحو، عليهم أولاً أن يحلوا
مشكلة العرّافة"

أشار الأحفاد بالإيجاب، فتابعت الحكاية: "هكذا جلس الأربعة
في وقت متأخر على رمال الشاطئ، يلتقطون أنفاسهم، ويناقشون أنهم
كانوا الوحيدين الذين استطاعوا مشاهدة كل ما حدث، أما الآخرون
وكان شيئاً لم يكن.

قال فريد: أظن أن بداية الخيط ستكون من تنبؤ العرّافة لكل منا.

سكت الجميع ، فقد كانت ملاحظة فريد جريئة ، فكلهم يعرفون
أن لظهور العرّافة علاقة وثيقة بما تنبأته لهم من مستقبل.

قال راوي : لقد تنبأت لك بحادث سيارة ، ولبسّام بسكتة قلبية ،
ولشادي بوفاة في حفل الزفاف.

فقال بسّام : ولك موت في السوق.

قال شادي : إنها تعرف كل شيء عنا.

قال فريد : بل تعرف مستقبلنا فوق كل ذلك.

قال راوي : وتلاحقنا لتجعل حياتنا جحيماً. ما الغاية من وراء
ذلك؟

سكت الأربعة ، ما عساهم أن يفعلوا؟ عندها قال فريد : ما زالت
أظن أن للجامعة علاقة بالأمر.

قال شادي : لن تستطيع أن تحصل على أي معلومات عنها.

قال بسّام : لربما إذا ما كننا باستطاعتنا العثور على عدد أكبر من

المدرسين لاستطعننا الحصول على بعض المعلومات.

قال شادي : أشك في ذلك ، ومع ذلك فإننا لا نملك أي خيط لأي

أستاذ غير إحسان.

أيضاً سكت الأربعة ، عندها نظر راوي إلى الساعة حيث بات
الوقت متأخراً ، فقال : عليّ المغادرة الآن ، فالوقت بات متأخراً ، وعليّ

الاستيقاظ في الصباح الباكر.

نظر إليه الثلاثة الآخرون بغير أن في ذهابه وحيداً جرأة
كبيرة، ولكنه كان مضطراً لذلك، والاهل تظنون أننا سنعيش معاً
في غرفة واحدة؟ إن لديّ ما أفعله
قال بسّام: ما تقوله صحيح... ..

قال راوي: لا وقت لديّ للفتة عليّ أن أمضي دوماً.
غادر راوي متحدياً كل من سبب مما سيحصل، كما افترق
الثلاثة أيضاً كل في طريق، وكل منهم أخذت خشية حصول أي مكروه
حتى إن وصولهم إلى المنزل لم يكن مناسلاً فيه الكفاية".



الفصل الثلاثون

ثانية

قال أحفادي معاً: "هل وصلوا إلى المنزل؟"

ضحكت وقلت: "وصلوا"

سكت أحفادي وكأن خيبة أمل قد أصابتهم، ولكنني

قلت: "ولكن الأحداث لن تنتهي هنا"

فقالوا: "وماذا بعد؟"

قلت: "صحيح أن الأربعة ساروا بحذر شديد في الليل، ووصل كل

منهم إلى منزله دون أحداث مريبة، إلا أنهم لم يستطيعوا النوم، وكل

منهم يفكر فيما يجري، وما سيجري له في الأيام القادمة.

كما أن راوياً اطمأن على أخيه سامي فور دخوله المنزل، وشادي

اتصل بقمر طوال الطريق ليكون على صلة بأحدهم، وفريد تحلق حول

سيارته وفتح كل شبر فيها ليطمئن عليها، وبسام... تناول عشاء دسماً

ونام.

في اليوم التالي خرج شادي إلى عمارة والد قمر، لعله يستطيع أن

يتقرب إليه أكثر، ويمول له حفلاً جميلاً يشهره فيه أمام جمهور لائق

لفنه العريق.

صعد إلى الطابق الرابع، ووقف ينتظر الإذن بالدخول.

نظر من خلال النافذة إلى السيارات الواقفة في المصفيات، إنها جميلة وبرّاقة، ليته يملك واحدة منها، إن قمراً لها سيارتها الخاصة بينما هو يستخدم المواصلات دوماً.

أثناء تأمله لاحظ شخصاً في إحدى السيارات، إنها هي، إنها العرّافة دون شك!

ارتبك شادي كثيراً، هل حضرت من أجله؟ هل تنوي أن تؤذيه؟ هل تنوي أن تؤذي قمراً أو والدها؟

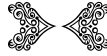
فكر قليلاً، إنه بعيد عنها، لربما لا تعرف بوجوده، إنها في السيارة لم تغادرها بعد، هل يعقل أنها غافلة عنه تماماً؟

فكر ماذا يفعل؟ إنها فرصة جيدة ليعرف هويتها، ولكنه بعيد، ولا يستطيع أن يخاطر بالنزول إلى المصفيات، لربما غادرت أثناء ذلك!

أخيراً خطر له أن يتصل بأحدهم ليحضر بينما يراقبها عن كثب حتى لا تغادر، فاتصل ببسّام، الذي كان ما يزال نائماً في المنزل، أخبره شادي أن العرّافة أمامه، وعليه أن يسرع بالحضور لكي يمسكها بها.

نهض بسّام فزعاً، وارتدى ثيابه بسرعة، وخرج إلى حيث

ممائلة، ولكنها لسبب يجهله لم تنعطف بشكل سليم، وارتطمت
بالحاجز، بل اخترقته نازلة الوادي أمام عينه.
أوقف فريد سيارته هلعاً، ونظر في الوادي، فكانت السيارة
محطمة في الأسفل.
ترك فريد سيارته مكانها، ونزل الوادي سيراً على الأقدام،
حذراً كل الحذر من أية سيارة”.



ما إن رفع راوي نظره إلى المصعد ليرى من أين أتى هذا الشراب، حتى نزلت دمىة مخيطة بشكل، متوسطة الحجم، ذات عين واحدة، وشعر متسخ، معلقة بخيط على السقف، ومدت يدها إلى وجه راوي الذي تراجع بسرعة، وأغلق باب المصعد على يد الدمىة، ومزقه أمامه".

قام أحفادي بشبك أيديهم خوفاً، فقلت لهم: "هذا ما حصل مع الأربعة هذا اليوم، وفي الغد مع ما جرى معهم"
قالت أصغر حفيداتي: "الدمىة ليست بشعة"
ابتسمت وقلت: "إنها دمي متلفة عما تلعبين به، لا تقلقي، والآن عليكم بالنوم، فغداً مدرسة".



الجزء الثامن
تصعيد

الفصل الثالث والثلاثون

في كل مكان

يوم تلو يوم، ساعة بعد ساعة، كم يمضي الوقت بسرعة!
أحاول تخيل أحفادي في سن الثمانين، كيف سيصبحون؟
على أي حال ستغيرهم الأيام؟ الوجه، الجسد، الصحة؟
حاولت التحديق بحفيدتي الصغيرة وهي تحاول ارتداء ثيابها
بنفسها بصعوبة، عملية ربط الحذاء تبدو مستحيلة، كما باتت
مستحيلة بالنسبة لي.
ساعة، اثنتان من التحديق المستمر، لا فائدة، إنها صغيرة
وستبقى هكذا مدى الحياة في نظري.
لم أستطع حتى تخيلها في سن الشباب، لا يمكن أن أتخيلها في
الكهولة، هذا ضرب من المستحيل.
إن هكذا هم، لا يستطيعون تخيل شيء كهذا، كما لا
يستطيعون العودة بي إلى أيام الصبا.
على الأقل صباي كان واقعاً، ولكن كهولتهم هي من الغيب الذي
لا يعلمه إلا الله وحده جل وعلا، فلماذا أنك نفسي في قضاء الله؟
استرخيت على الأريكة أسلم أمرهم إلى خالقهم، فهو وحده

العطوف عليهم.

فتحت عيني فإذا بي قد غفوت إلى الليل ، وقد أيقظني أحفادي
لأتابع لهم الحكاية.

قال أحدهم: "هل سيجتمعون ثانية؟"

قالت أخرى: "هل سيختارون مطعماً من جديد؟"

قلت: "اجتماعهم في الموعد المحدد، أما المكان فقد اختاره فريد
كالعادة، هذه المرة في فندق فاخر.

اجتمع الأربعة كل منهم يرجف مما يمكن أن يجري لهم اليوم،
الأحداث الغريبة تجري إذا ما كانوا فرادى أو جماعة.

جلسوا في مقهى الفندق، وقص كل منهم ما جرى له، وقرروا أن
عليهم أن يجدوا حلاً للمشكلة.

اقترح بسّام أن يخبروا الشرطة، ولكن الثلاثة رفضوا هذا
الخيار، معللين أن الشرطة لن تأبه بأحداث كهذه، كما أن أحدهم لم
يصب بمكروه.

قال راوي: علينا أن نعرف هويتها.

ما إن نطق هذه الكلمة حتى ظهرت أمامهم العرافة على طاولة
المطعم.

قفز الأربعة من هول ما رأوا، إنها هنا! عندها تشجع فريد،



—

الشؤون

قال بسّام: نقتحم الجامعة، ونعلن تنازلنا عن الشيك والمشروع.

صرخ راوي: أبداً، لن يحصل هذا.

قال فريد: هذا ما تريده العرافة بالضبط، ولن يكون لها هذا.

قال شادي: إذا ما كان هذا سيحل المشكلة فأنا أتنازل.

قال راوي: وكيف لك أن تتزوج قمرًا؟

أشار فريد بيديه يقول: كفى كفى! كفوا عن هذا الجدل، لن

يفيدنا هذا في شيء على الإطلاق.

سكت الأربعة والدم يغلي في رؤوسهم، ماذا سيفعلون الآن؟

قال بسّام في قلق: في مثل هذه اللحظات كانت تظهر العرافة لنا.

نظر فريد حوله وقال: هناك ثلاثة أقنعة في الصالة على الأقل،

هل تظن أن إحداهن حقيقية؟

تأخر الوقت، وظل الأربعة جالسين في قلق، يتلفتون في الصالة،

ويراقبون أصحاب الأقنعة، كلهم من الموظفين، وقليل هم من دخل

بالقناع من الزوار.

لم يحصل ما هو غريب، وتناول الأربعة طعامهم بحذر شديد،

وخرجوا إلى الشارع ليروا العشرات من الأقنعة تسير هنا وهناك!

بل كان الأطفال يتحلقون حولهم في سرور، لم يعرف الأربعة ما

الممتع في قناع مخيف كهذا، هذا جيل غريب.

عندها ركض الأطفال منتشرين في الساحات، ولكن الأربعة
لاحظوا أن الأطفال يرمقونهم بعيون غريبة! حتى الأطفال باتوا
غريبين.

لم يخطر على بال أي من هؤلاء الأطفال أن يسألوا: هل هناك
خطب في ذلك؟

فكان الـ

ة

الفصل الخامس والثلاثون

شكوك

قال الأحفاد: "لقد بات الأمر معقداً"

قالت أصغر حفيداتي: "من العرّافة الحقيقية؟"

فنظر إليها باقي الأحفاد يقولون: "هذا ما لا نعرفه من الحكاية

إلى الآن"

فقالت: "ومتى سنعرف؟"

قلت: "ستعرفين عندما يحل الأربعة معضلتهم" ثم تابعت

الحكاية أقول: "هذه المرة لم يفترق الأربعة، فلم يجروا أحدهم على الذهاب إلى منزله وحيداً.

قرروا على الأقل أن يسيروا معاً إلى أقرب مفترق لمنازلهم، وأن

يظلوا على شكل جماعة قدر المستطاع.

ساروا في الطريق المظلمة يتحدثون، فأطرق فريد يفكر ثم قال:

أنتم تعلمون أن العرّافة لا تستهدف الجائزة.

نظر راوي إليه وقال: فما هدفها إذن؟

سكت فريد قليلاً، فقال بسّام: أنت تقصد التنبؤ الذي تحدثت

عنه في السابق.

أشار فريد بالإيجاب، فقال شادي: لا يمكن لأحد أن يتنبأ
بذلك.

لكن فريداً قال

جته المسير، بينما تحدث

فكره من اجله من يريد

الجائزة

يعرف عن

الجزء التاسع
المنية

الفصل السادس والثلاثون

بسام

المنية، زارت العديدين وهجرتني، صافحت المساكين
وخاصمتني، هاجمت العزّل وأمنتني.
ثمانون عاماً كان غيابها، ولم تترك ما يدل على طلّتها.
لا سيد العالمين

تابع بسّام طعامه، فدخل المطعم صبي، اتجه إليه أيضاً وطلب إليه المعونة، فلم يأكل منذ الصباح، وليس بحوزته ما يسكن جوعه، فقطع له بسّام قطعة أخرى من طبق الدجاج، فشكره الصبي وغادر. نظر بسّام إلى العاملين في المطعم لم يسمحون للمتسولين بالدخول، فوجدهم نائمين على الطاولات، ينتظرون أن ينهي طعامه ليغلقوا المطعم.

تابع بسّام طعامه، فدخل المطعم شخص مريب، نحيل الجسد، مليئ بالكدمات والحروق، تفوح منه رائحة فاسدة، ووجهه مشوه بمرض جلدي لعين.

كان بسّام يجلس بالقرب من المدخل، فما كان له إلا أن واجه الرجل على الفور.

نظر الرجل إليه بعيون جاحظة، ومد يده إلى طبقه وتناول قطعة الدجاج، ولم يستطع بسّام أن ينطق بأي كلمة، فقد كان المنظر مخيفاً. حاول بسّام النهوض ولكن الرجل وضع يده على كتف بسّام وقد كانت قوية وثقيلة، وأجبره على الجلوس، ونظر إليه وهو يأكل طعامه بنهم.

رفع بسّام يد الرجل بكل ما أوتي من قوة، وقفز عن الطاولة ليهرب من المطعم، ولكن الموظف استوقفه على الفور ليدفع الحساب،

هذه هي الحالة الوحيدة التي يستيقظ فيها الموظفون!
وضع بسّام يده في جيبه، فأحس فيها بشيء يتسلق ذراعه
بسرعة، إنه عنكبوت ذو أرجل طويلة، يبلغ حجم الكف.
جفل بسّام، ودفعه بيده الأخرى بسرعة، وخرج من المطعم
راكضاً إلى المنزل".



الفصل السابع والثلاثون

فريد

قال أحفادي بصوت واحد: "إي! هذا مقرف!"

قالت أصغر حفيداتي: "لقد وعدت ألا يكون هناك ما هو مقرف!"

قلت لها: "آسف على ذلك، ولكن هذا ما حدث فعلاً"

قال آخر: "هذا ما تؤلفه أنت"

ابتسمت وقلت: "حسناً، ما حدث لفريد لم يكن مقرفاً، كان فريد متردداً في استعمال سيارته، فقد حدث له الكثير هذه الأيام، وهو على يقين أن العرّافة تتابعه في سيارته حيث تنبأت له أن يموت فيها.

أخيراً حسم أمره إنه لن يستطيع أن يكف عن استعمال السيارة مهما فعل، وعليه أن يركبها ليذهب بها إلى أي مكان.

ركب فريد سيارته لينطلق بها وكله قلق مما سيجري، كان يتصبب عرقاً دون مشاكل تذكر.

فجأة ودون أن ينتبه، ظهرت العرّافة في المقعد الخلفي، إنها هناك، تمد يدها إلى وجه فريد، الذي انتفض لحظة إحساسه بها، ورؤيته أنه والعرّافة داخل السيارة.

لم يرتبك، ولم يهتم، بل ضحك وهو يقول: إنها هي، هذه
السيارة قد تخلصت منها، لقد كنت سأموت فيها أليس كذلك.
ولكن العرافة لم تحرك صامتاً، فقال فريد: لن يحدث شيء
كهذا في سيارة أخرى، أليس كذلك؟
ولكن العرافة لم تحرك ساكناً، فقال فريد منزعجاً: أليس
كذلك؟
أشارت العرافة بالنفي، فشعر فريد بخيبة أمل، وجثا على
ركبتيه يبكي حاله".





كان العنوان عبارة عن عمارة مهجورة منذ سنين، ذات جدران مهترئة، ونوافذ مكسورة.

دخل شادي بعد تردد بسيط، وبدأ ينادي بصوت يسمعه من في الطابق: قمر! قمر! هل أنت هنا؟ هل تسمعينني؟
ما من مجيب، ولكنه كان يعلم أنه ليس وحده، وأن هناك من يراقبه.

اتجه إلى السلالم ليصعد إلى الطابق الثاني، هناك لمح شخصاً يصعد قبله، يرتدي السواد.

فضّل شادي التمهّل على اللحاق به، فهو على يقين أن الأمور لن تسير على ما يرام.

صعد السلالم بحذر، وقد كانت مهترئة وزلقة، ووصل الطابق الثاني، الذي كان موحشاً أكثر من سابقه.

نظر إلى الأثاث، يبدو أن صالة زفاف كانت هنا، ولكن المقاعد مكسورة، والطاولات مهترئة، ومقعد العريس كان على الأرض.

تابع الصعود بهدوء، ولكنه سمع وقع أقدام تنزل بسرعة، جفل واستعد لما سيري، فظهر أمامه أخيراً، كان الأستاذ إحسان، جفل هو الآخر لرؤية شادي.

أمسك إحسان بشادي وقال: ماذا تفعل هنا؟

قال شادي: ماذا تعفل أنت هنا؟

قال إحسان: تلقيت رسالة غريبة.

قال شادي: وأنا أيضاً.

عندها تابع إحسان نزول الدرجات بسرعة وقال: فلنخرج من هنا حالاً.

ولكن شادياً استوقفه قائلاً: ولكن قمر هنا! لا أستطيع التراجع.
نظر إحسان مندهشاً إلى شادي، ثم قال: خطيبتك هنا! ذاك كان صوتها في الأعلى.

ما إن سمع شادي قول إحسان هذا حتى ركض مسرعاً صاعداً
السلالم، غير آبه بكلمات إحسان الرادعة.

صعد شادي السلالم المهترئة بأقصى سرعة، ووصل إلى الطابق
الخامس والأخير، وصعد السطح، ولكن لم يكن أحدهم هناك!
تجول في السطح يبحث عن أثر لقمر، ولكنها لم تكن هناك، ولم
يكن أحد هناك.

نظر من السطح إلى الشارع، فوجد العرافة تخرج من العمارة،
تسير بتثاقل.

حدق شادي بها، فنظرت تجاهه بسرعة، فجفل ولكنه انتبه

صی سرعة، وهو ينادي

مر إلى ش

قطر عن قاء فة لمت

الفصل التاسع والثلاثون

راوي

حزن أحفادي على شادي، وقال أحدهم: "وماذا كانت تفعل قمر

هناك؟"

قالت أخرى: "هل تلعب دوراً سينمائيًا؟"

قلت: "ربما، والآن سنترك شادياً وصدمة الكبيرة فيما رأى،

ولنتحدث عن راوي.

راوي عاد إلى منزله، ودخل الصالة فوجد كل شيء هادئاً،

ولكنه كان يحب دائماً الاطمئنان على إخوته في المساء.

فتح غرفة نوم سامي فلم يكن فيها، لابد أنه ينام مع أخواته.

فتح غرفة الأخوات فوجد الثلاثة مستقلقين على الأرض فاقدى

الوعي، وحولهم زجاجات من الخمر معظمها كان قد فرغ! إلى جوارهم

كانت الكثير من الدمى المريبة الشكل، وكان صوت ضحكات خفيفة

تصدر منهم!

ارتعد راوي لما رأى، هل يعقل أن يكونوا قد شربوا كل هذا؟ هذا

قد يقتلهم!

ركض إلى إخوته، ولكن الدمى انفجرت وقتها، ونشرت

بانت خيبة الأمل على حفيدتي الصغيرة بفقدان إحسان من
الرواية، فقلت: "هذا ما لدينا اليوم، وللحكاية تكملة"



الجزء العاشر
تحقيق

الفصل الأربعون

في الشرطة

صباح جديد يطل على المدينة، مر زمن ولم أقابل أحداً،

الزملاء، الأصدقاء، الأخلاء، أين هم الآن؟

عندما يتقدم بك السن تصبح الأولويات مختلفة، فقد بات أقرب

الناس إلى قلبي هم أحفادي، ولم أعد أذكر الأصدقاء، بل أشك في أن

بعضهم ما يزال على قيد الحياة!

و ————— ل ————— هؤلاء الذين عاشرتهم طول العمر، كم

وبما أن أحداً لا يعرف شيئاً عن المدرسين أو المدير كان من
الأسهل الإمساك ببلنجهذين الثلاثة المتبقين.

باب

ظل الأربعة جافلين للحظات، إن العرافة قاتلة محترفة، أولاً
إحسان، والآن الشرطة.

قال بسّام: لنغادر قبل أن نتهم بقتل هذا أيضاً.

وافقة الجميع، واتجهوا إلى الصالة المؤدية إلى الخارج، فجفلوا
لما رأوه فيها أيضاً! هناك ما لا يقل عن خمسة من الشرطة باتوا جثثاً
على الأرض!

تقياً راوي مما رأى، بينما لاحظ الباقون رسالة كُتبت بالدم على
الحائط بشكل كبير: (إلى الجامعة)".



الفصل الحادي والأربعون إلى الجامعة

تعجب أحفادي: "الجامعة ثانية!"

ولكن أذكاهم قال: "كنت أعلم أن أساس الحكاية هي الجامعة"
فقلتُ: "ولكن كان عليهم أن يتناقشوا فيما بينهم قبل قبول
الدعوة العجيبة"

فسألت إحدى حفيداتي: "وهل سيذهبون؟"
قلتُ: "بعد نقاش لم يدم طويلاً، قرروا الذهاب، وسيتحملون في
سبيل إنهاء تلك الكوابيس أي تبعة"
قالت إحدى حفيداتي: "ولماذا يذهبون وحيدين؟ عليهم إبلاغ
الشرطة"

فقال آخر: "الشرطة التي ماتت منذ لحظات، والتي سيتهمون
بقتلها لا محالة!"

قلتُ: "هذا بالضبط ما فكر فيه الأربعة، الشرطة لن تقف إلى
صفهم، وعليهم أن ينهوا حسابهم مع العرافة بأنفسهم.
اتجه الأربعة بخطوات مترددة إلى الجامعة، كانت كما هي،
مهجورة مريبة، ليس فيها من جنس بشري، بل ليس فيها أي أثر لحياة!"

تسلك الأربعة البوابة ودخلوا، بعد مسير دقائق في الممرات
وجدوا بناية وضع عليها لافتة تقول (مبارك للفائزين).
لم يدر أحد أكانت هذه لافتة قديمة أم أن العرافة وضعتها
ليدخلوا البناية.

لم يكن لديهم خيار سوى التحقق، ودخل الأربعة البناية التي
لم يسبق لأحدهم أن دخلها.

كانت الصالة نظيفة على غير المتوقع، والأرضية الرخامية
تعكس ما فوقها، وجميع التحف ملمعة بشكل متقن!
هذا ليس مكاناً مهجوراً بكل تأكيد، لقد كان أحدهم هنا قبل
لحظات.

تجول الأربعة بحذر، إلى أن وجد شادي ممراً وضعت لافتة فوق
بوابته كُتب عليها (راوي).

كذلك وجد الآخرون أسماءهم على ممرات أخرى، ماذا يعني هذا؟
يبدو أن العرافة تريد منهم أن يتفرقوا تبعاً للبوابات، ولكن هل
ينصاعون لمثل هذا الفخ الواضح؟

سأل فريد: هل من اقتراحات؟

قال بسّام ببساطة: هذا فخ واضح، علينا أن نظل معاً.

قال شادي: إذن أي البوابات ستدخلون؟

الفصل الثاني والأربعون في البوابة الأولى

قال أحد أحفادي: "هذا تهور!"

قال آخر: "إنهم يسيرون إلى حتفهم"

قالت إحدى حفيداتي: "وهل سينجون وحيدين؟"

قلتُ: "لم يكن أحدهم يفكر بهذه الطريقة، كل منهم كان يخشى

أن يفتضح أمره أمام الآخرين"

قال أكبر أحفادي: "إذا كان هناك ما يخشون افتضاحه، فلماذا

يفعلونه منذ البداية؟"

ابتسمت وقلت: "ليت كل الناس يفكرون بهذه الطريقة، ولكن

الواقع مختلف"

قالت أصغر حفيداتي: "وماذا وجدوا داخل البوابات تلك؟"

تابعت الحكاية أقول: "بسام دخل ممراً طويلاً، كلما فتح باباً في

آخره وجد ممراً آخر!

ممر تلو ممر، لم يعد يعرف إلى متى سينتهي ذلك، إلى أن وجد

دمية ملقاة في منتصف الممر.

كان منظر اللعبة بشعاً، وكانت ملقاة باستهتار في المنتصف،

بعد توقف لحظات تابع بسّام مسيره تجاهها.

سمع صوت سعال، من ثم نهضت الدمية لتواجهه.

توقف بسّام يحدق في الدمية، إنها بطول ذراع كاملة، ولا يبدو أن أحداً يعتني بها، فهي متنسخة.

لم يدر بسّام ما يفعل، ها هي الدمية تقف في المنتصف، وعليه أن يمر عنها ليصل إلى البوابة التالية.

ظلت الدمية واقفة لا تحرك ساكناً، فتحرك بسّام خطوة إلى الأمام، فتحرّكت الدمية خطوة تجاهه أيضاً.

لم يكن ذلك مريحاً، ماذا سيحصل بعد؟ تحرك بسّام خطوة أخرى إلى الأمام، فتحرّكت الدمية تجاهه أيضاً.

بدأ العرق يتصبب من بسّام، وسمع صوت ضحكة طفلة تصدر من الدمية، بات الوضع مزعجاً.

توقف بسّام عن الحراك تماماً، فبدأت الدمية تترنح يميناً ويساراً في مكانها تنتظر أي حركة، عشر ثوان، عشرون ثانية، لم يحرك بسّام ساكناً، عندها قفزت الدمية قفزة سريعة مريبة إلى وجه بسّام، الذي فقد وعيه على الفور.

استعاد بسّام وعيه شيئاً فشيئاً، وكان أول ما لفت انتباهه هي الرائحة النتنة حوله.

لم تكن هناك أعمدة، إنها رسومات متقنة، ذات أبعاد مدروسة، كل شيء كان مرسوماً، حتى النوافذ والأبواب، إنها غرفة صغيرة مغلقة، لا يجد فيها مدخلاً أو مخرجاً!

أخيراً سمع بسّام صوتاً غريباً، إنه أشبه بتلاطم أجسام لزجة، واحتكاك مع الرطوبة، نظر خلفه فإذا باللحوم تتجمع في المنتصف، كأنها ستشكل شيئاً ما!

تقياً بسّام ثانية من المنظر، عندها سمع صوتاً من ورائه يقول:

من هنا!

نظر بسّام ورائه، فإذا بها سميّة، أستاذة الرسم في الجامعة! كانت تشير إليه أن يتبعها، فقد كانت تقف في ممر مجهول.

لم يكن لدى بسّام خيار آخر، ركض تجاهها لا يريد أن يعرف ما سيحل في الغرفة، كل ما يريد في هذه اللحظة أن يغادر.

خرجاً من الطرف الآخر للممر، إنهما في صالة في إحدى بنايات الجامعة. التقط بسّام أنفاسه، فقالت سميّة: لقد جلبوك أيضاً.

أيضاً!

فقالت: لا أظن أننا وحدنا، هناك بعض المدرسين والطلبة، هذه

جامعة مشؤومة.

فقال بسّام: ولماذا أنت هنا؟

قالت: لقد كنت نائمة في المنزل، وفجأة وجدت نفسي في الجامعة! هذا مخيف.

قال بسّام: هل تعرفين ماذا يريدون؟

قالت: وما أدراني؟ أنا حتى لا أعرف رئيس الجامعة! آه كم كنت عمياء عندما قبلت العمل هنا، كان علي أن أشك في كل شيء.

قال: كل شيء؟

قالت: الرواتب الباهظة، الامتيازات البراقة، كل شيء كان مزيفاً، هناك أمر مريب هنا.

سأل: ماذا تظنين؟

قالت: لا أصدق أنني بدأت أصدق حكايات الأشباح والأموات التي تصدر عن هذه الجامعة، لم أعد أعرف بم أفكر.

نظر بسّام حوله، يبدو أن سمّية لا تعرف الكثير، عليهم أن يفكروا سوياً بحل لهذا المأزق، عندها تذكر وقال: هل تذكرين الأستاذ إحسان؟

قالت: مدرس الموسيقى؟

قال: أجل، لقد قُتل.

لم تصدق سمّية ما سمعت، اقتربت من بسّام وفي عيونها دهشة وخوف تقول: هذا غير معقول!

قال: قتله من يلعب بنا الآن.

وضعت سميّة يدها على رأسها، وبدأت تهذي وتقول: لن أعود

إلى المنزل!

حاول بسّام تهدئتها، فأخّر ما يحتاجه الآن هو الارتباك،

ولكن سميّة بدأت تبكي وتندب حظّها.

تركها بسّام على حالها، وبدأ يتجول في الصالة، علّه يجد

مخرجاً من هذا المأزق".



الفصل الثالث والأربعون

البوابة الثانية

قال الأحفاد: "كل منهم سيدخل بوابة فيها ما يخصه"
نظرت إلى أصغر حفيداتي التي كانت تبكي، سألتها ما الذي
يبكيها، فقالت: "سميَّة تبكي إحساناً، لقد كان شخصاً رائعاً"
قال أحد أحفادي: "إنها تبكي حظها العاثر"
ابتسمت وقلت: "ربما الاثنان معاً، والآن سأخبركم عن البوابة
الثانية التي دخلها فريد
دخل فريد ممره الخاص، وقد كان ممراً طويلاً منزلقاً، وكان
عليه أن يصعد إلى أعلى.
تطلب ذلك منه وقتاً وجهداً، فقد كان من الواضح أن ممراً مثل
هذا كان مصمماً لغايات النزول فقط.
توقف فريد ينظر في الممر، هناك أشياء معلقة من بعيد، اقترب
في حذر، فرأى مجموعة من الدمى مشنوقة على الحائط!
كان هناك سائل أسود يقطر من الدمى، رغم أن المنظر كان مريباً
إلا أن فريداً كان على موعد مسبق مع الغرائب، فلم يذهله المنظر،
وسار بحذر بمحاذاة الحائط.

ظل فريد يراقب الدمى بحذر وهو يلتصق بالحائط ليعبر ، ولكنه لم يفتن إلى يد تكسر الحائط من ورائه لتمسك به.

فقد فريد وعيه، وما إن استيقظ حتى وجد نفسه في غرفة معتمة جداً، لا يكاد يرى فيها كفه.

جلس يحاول تحسس المكان، الأرضية كانت معدنية، والجو كان بارداً.

في تلك اللحظة أنيرت أضواء كثيرة تجاهه، أغمض فريد عينيه فوراً، وبدأ يفتحهما ببطء ريثما اعتادت عيناه النور.

أخيراً وجد نفسه وسط حقل من السيارات المتنوعة، كلها تصطف متجهة نحوه، وجميعها تنير إضاءاتها تجاهه.

ظل فريد متمسراً مكانه ينظر إلى السيارات وكأنها تحدد فيه، كما سمع صوت المحركات تعمل، وبدأت السيارات تتحرك ببطء تجاهه مشكلة حلقة هو مركزها.

لم يكن هناك أي مكان يتحرك إليه، هناك ما يقارب العشرين سيارة تحدد فيه، وتتجه نحوه ببطء.

فجأة سمع صوت زجاج ينكسر! نظر إلى حيث الصوت فوجد الأستاذ ضياء، الممثل البارع النشيط، كان يحمل عصاً حديدية يكسر بها زجاج السيارات.

وقف فريد ينظر إليه، فصرخ ضياء قائلاً: من هنا!
قفز فريد فوق ما استطاع من سيارات، وكسر ضياء ما استطاع من
زجاج، إلى أن تحول تجاه السيارات من فريد إليه.
وصل فريد إلى ضياء الذي رمى العصا وأمسك يد فريد ليهربا
سويًا من هذا المأزق.

لاحظ فريد أن ضياء يعرف الطريق، فعمل ضياء على الفور: هذا
الممر هو أوصلني إلى الحجرة، لابد أنه سيكون أفضل من هنا.
فسأله فريد: وماذا تفعل هنا؟
أجاب ضياء بلا أدري! أنا هنا دائماً في منزل

الفصل الرابع والأربعون

البوابة الثالثة

قال أحد أحفادي: "كادت السيارات تهاجمه!"
سألت إحدى حفيداتي: "هل كانت السيارات ستدهسه؟"
قال آخر: "المهم أنه نجا"
قلتُ: "ليس كثيراً، أما الآن فسنحدث عن شادي.
بدأت البوابة بسلاالم تدور إلى أسفل، لم يستطع شادي معرفة
طول السلاالم وإلى أي مدى سيظل ينزل إلى أسفل.
مشى قليلاً، وكلما اقترب تأكد أنه يسمع موسيقى تعزف.
هناك في الأسفل موسيقى عذبة، هل هناك من أحد يعزف أم أنه
فقط صوت تسجيل؟
توقف شادي، هناك شيء على الدرج، ليس يميز ما هو، شيء
مثل القماش!
اقترب منه بحذر، ومد يده إليه، فارتجف القماش. أبعد شادي
وجهه شادي

فاخرة، وصالة الرقص أكثر من جميلة، إنها أجمل الصالات التي
شاهدها في حياته.

نظر في الجموع الراقصة، إنهم كثير، يرقصون رقصات ثنائية.

لمح من بينهم قمر! إنها هناك تراقص أحدهم!

تحرك شادي بسرعة بين الجمهور، ولكن الازدحام جعلها
تختفي من أمامه بسهولة.

ظل شادي يدافع الراقصين، يبحث عن قمر، بل نادى اسمها
عَبثاً، فصوت الموسيقى كان عالياً جداً.

أخيراً لمحها ثانية من ناحية أخرى، هذه المرة كان قد لمح
مراقصها، إنه فريد!

شعر شادي بالدم يغلي في رأسه، ماذا يفعل فريد مع خطيبته؟
ركض تجاههما واخترق الناس بكل ما أوتي من قوة، ولكنه فقدهما ثانية.

ظل شادي يراقب الجموع يميناً وشمالاً، يبدو أنهما ابتعدا. سار

~~عنهما، عليه أن يجدهما بأي~~

توقف الجميع ، ونظروا إليه حيث كان يلهث ويتصبب عرقاً ،
ولكن نظراتهم بدأت تشوبها الريبة ، من هذا؟ من يكون؟ ولماذا يأمرنا
بالتوقف هكذا؟

ظل شادي واقفاً وسط الجمهور الحانق ، أخيراً لمح قمراً وفريداً
يحاولان مغادرة القاعة من باب الطوارئ ، فهرع للحاق بهما .
ركض شادي إلى حيث باب الطوارئ ، فوجده مغلقاً بإحكام ،
ضربه ضربات متتالية ولكن بلا فائدة ، يبدو أن القفل كان محكماً .
حاول أن يبحث عن أداة تمكنه من فتح الباب ، فنظر في القاعة
من جديد ليجد الجميع يرقصون يرتدون أقنعة العرّافة .

له ما يقارب المئـة عرّافة

في الطابق العلوي كانت هناك
لصفتها
الإضاءة،
مقفلة
مقفلة

الفصل الخامس والأربعون

البوابة الرابعة

”آه!“ صرخت أصغر حفيداتي: ”إحسان! إحسان!“

نظر إليها باقي الأحفاد نظرة المبالغ في تصرفاته، إنها لا تسمع من الحكاية سوى اسم إحسان.

ابتسمتُ وقلت: ”نعم، لقد كان إحسان، يرقد هناك وحيداً، أما الآن فسنترك شادي ونعرض لراوي.

سار راوي في ممره الخاص، كان متاهة حقيقية، كل ممر يؤدي إلى تفرعات، وكل تفرعات تؤدي إلى أخرى، وما كان راوي ليحزر أي ممر يدخل، فلم يكن هناك فرق في المصير بين الممرات.

وصل إلى بركة صغيرة في الممر، كان عليه أن يجتازها، ولكنه لم يحزر عمق المياه، عليه أن يسبح.

خشي راوي ما قد ينتظره تحت الماء، وكان فعلاً ما خشي، فقد طافت دمية صغيرة على سطح الماء.

ظل راوي واقفاً ينظر هل ستتحرك، ولكنها ظلت ساكنة، ووجهها مغمور في الماء.

اقترب راوي خطوة واحدة، فسمع صوتاً خافتاً يقول: ساعدني!

كبير في الصالة وقد بدأت بعض العلامات تظهر عليه، إنها كتابات،
تكتب بحبر أسود من تلقاء نفسها!

(كان يا مكان، أربعة شبان، كلهم فنان...
عرفوا المصير، من سيدة بصير، بما سيصير...
كلّ فانون، مما يخفون، ولكنه سيكون...
هذا محتوم، وما يستحقون، فلا يجادلون...)

فجأة ظهرت العرّافة من بين ظلال الغرفة، وقد كانت قريبة من
راوي، ففزع لرؤيتها، وتراجع إلى الوراء وسقط على الأرض المبتلة،
وزحف عليها محاولاً الهرب.

جرحت يده بأثر الزجاج المنتشر على الأرض، ولكنه من فزعه
لم يشعر بالألم، بل نهض ليركض إلى أي مكان مبتعداً عن العرّافة.
قابلته بوابة لم يدر هل كانت نفس البوابة التي دخل منها،
ولكن لم يكن لديه خيار آخر، فتحتها وسقط من فوره في حفرة منزلة
قادته إلى صالة مختلفة.

كانت صالة فارغة باستثناء طاولة في منتصف الصالة، مليئة
بالكتب والأقلام والأوراق، وكان أحدهم يجلس خلفها غارقاً بالكتابة،
ولكن الكتب كانت تحجب وجهه عن راوي.

الفصل السادس والأربعون إلى النهاية

توقفتُ عن سرد الأحداث، فقد تأخر الوقت أكثر من المعتاد،
ولكن أحفادي اعترضوا على الفور: "ستتابع هذه المرة! لم يبق من
الحكاية الكثير! لن ننام اليوم!"

ابتسمت وقلت: "ولكن غداً مدرسة"

فصاح الجميع بصوت واحد: "غداً عطلة!"

آه، ما بت أميز أيام الأسبوع، بات الأربعاء كالجمعة، العطل
كغير العطل، الشهر كالذي سبقه، السنة كتاليتها، ما بات للوقت
معنى، بت كمن سافر إلى الفضاء الخارجي حيث يتلاشى الوقت،
وتنعدم الجاذبية، وتنكسر المسلّمات.

هناك في الفضاء تحوم حولي الأجرام، كل منها يحمل تاريخه،
كل منه يحمل أيامه، ولكن الفضاء... الفضاء ليس له أيام!

بهذه الفرضية هل تنعدم أهمية الفضاء؟ أليس هناك فوائد

لفضائنا؟

كيف لا، وهو من يحوي كل الأجرام.

أمسكت حفيدتي الصغيرة بيدي، وانتشلتني من فضائي

إليه طويلاً، ولكنه لمح بين يديه قيثارة.

مد شادي يده إلى القيثارة، وقبل أن يلمس يد الأستاذ إحسان
فتحت بوابة تحت قدميه سقط من إثرها في لولب طويل لا يُعرف
نهايته.

اقترب راوي من الطاولة، وحاول أن ينظر إلى من يكتب خلفها،
فكان الأستاذ أسد!

انتبه الأستاذ أسد إلى راوي، فتعجب راوي لوجوده هنا كما
تعجب أسد لذلك، فسأل كلاهما السؤال ذاته في وقت واحد: ماذا تفعل
هنا؟

قال راوي: ماذا تفعل أنت هنا؟

قال أسد: أكتب كما ترى! فماذا تفعل أنت هنا؟

ظل راوي صامتاً، إن أسداً مطمئن هنا! فسأل: ألا يلاحظك
أحدهم؟

أجاب أسد: بالطبع لا! أنا أجلس هنا لأن الجامعة هادئة جداً،
وأفضل مكان للكتابة، إلى أن ظهرت أنت!

تعجب راوي، فأشار أسد بيده وقال: دعك من هذا! كنت أبحث
عن تاريخ معين في ذاك الكتاب، افتح الصفحة الثلاثمئة.

اجاب راوي أستاذة، وفتح الكتاب الذي أشار إليه إلى الصفحة

الثلاثم هناك وجد صفحة فارغة كتب في منتصف الصفحة

قديمك)

نظر راوي في باب من أسفله

ق

أيقن الأربعة أن هذه هي اللحظة التي يكشف فيها الغطاء عن كل مجهول، وهي اللحظة التي سيعرف فيها مصيرهم.

رفعت العرّافة الواقعة أقصى اليمين قناعها، فكانت الأستاذة ميساء تنهد بسّام، هي لحظات كانت تستغله فيها.

ثم رفعت العرّافة الواقعة أقصى اليسار عن قناعها، فكان الأستاذ ضياء، ابتسم فريد حيث أنه كان ممثلاً بارعاً.

ثم رفعت العرّافة التالية عن اليمين قناعها، إنه أسد، ثم العرّافة عن الشمال، إنه فريد! نظر الثلاثة إلى فريد المغطى بالتراب، ولكنه بدوره كان مندهشاً يقول: فؤاد! فابتسم فؤاد له.

ثم رفع القناع عن العرّافة على الجهة اليمنى من الكرسي، وسط ذهول الجميع كان الأستاذ إحسان!

قفزت حفيدتي فرحاً، ولم تعد تتمالك نفسها: "إحسان! إحسان!"

طلب إليها الجميع الهدوء والإنصات للتالي، فتابعت أقول: نعم، لقد كان بينهم، يقف سليماً معافى.

ورفعت العرّافة على شمال الكرسي قناعها، هنا لم يتمالك شادي نفسه، نهض فوق كرسيه يسأل ويقول: من؟

لسؤوف

عن كل ما جرى، العرّافة الأولى، العرّافة التي تنبأت لهم بمصيرهم
المشؤوم، العرّافة القائدة.

حدق الأربعة بها، إنها ترفع القناع عن وجهها ببطء، حبست
الأنفاس، وحدّقت الأبصار، وتلاشت الأصوات، إنه... وليد، أصغر
مدرس في الجامعة.

الولد ذو العشر سنوات فعل كل هذا! هذا لا يصدق! يكادون لا
يذكرونه من بين الأساتذة! إنه يقف من على الكرسي تاركاً أقداماً
اصطناعية خلفه، وقماشاً طويلاً يزحف من ورائه، ومخدة على مقعده،
لقد عاد بطول العشر سنوات.

نطق: أهلاً بكم ثانية أيها الفائزون الأربعة.

كانت الدهشة بادية على وجوههم، فلم يردوا بأي كلام، فقال
وليد: نعم، أعلم أنها الدهشة تسيطر عليكم، ولكن اعلموا أن أحداً منا
لن يؤذيك.

أدخلت هذه الكلمات الطمأنينة في قلوب الأربعة رغم أنهم كانوا
قد عاينوا الويل في الأيام الماضية.

أشار وليد إلى إحسان الذي قال: آسف لما جرى، ولكنني أظن
أنكم سعيّدون لرؤيتي على قيد الحياة.

قال شادي: لقد كان تمثيلاً طول الوقت!

أشار إحسان بالإيجاب، فقال فريد: والشرطة، والحبس!

قال إحسان: جميعهم من طاقمنا.

أشار وليد إلى فؤاد، الذي نظر إلى فريد وقال: هل أدهشك هذا؟

فقال فريد: منذ متى كنت تتآمر ضدي؟

ضحك فؤاد، ثم رفع قناعاً عن وجهه لتظهر التجاعيد وآثار

الشيخوخة عليه، إنه مجرد تنكر، وها هو ذا جهاد، أكبر الأساتذة، يتلاعب بهم أيضاً.

قال فريد: إذن فؤاد...

قال جهاد: في المنزل، لا يعرف شيئاً.

ثم أشار وليد إلى قمر، فنظرت إلى شادي وقالت: آسفة لكل ما

جرى، ولكنني أظن أنك مدين لي باعتذار أيضاً.

قال شادي: لم أكن أتصور أنك تتآمرين ضدي، منذ متى كنت

معهم؟

قالت: منذ أن تقابلنا، ومن قبل أن تلتحق بالجامعة.

تنهد شادي، ولكنه صعد عندما أمسكت قمر قناعاً تنزعه من

على وجهها، وكانت دلع، من أصغر الأساتذة في الجامعة، ورفعت

شعراً مستعاراً ليظهر شعرها الأشقر الجميل، كما أنها نزعت حذاءها

ليظهر فرق الطول بين الشخصيتين!

قال شادي: إذن قمر لا تعرف شيئاً.

فقالت دلع: آسفة لأخبرك أن لا وجود لقمر من الأساس.

جفل شادي، فقال جهاد: لقد كنتُ والد قمر أيضاً، كما ترى،

التنكر هو اختصاصي.

حذق شادي بدلع وقال: هذا غير صحيح.

طأطأت دلع رأسها، فقال وليد: بالنسبة لك يا شادي فقد كان

اختيارك أساسياً منذ زمن، فأنت عازف بارع وطموح، وقد رُسمت

الخطّة في شأنك مسبقاً، وحتى قبل بناء الجامعة.

ثم التفت وليد إلى الثلاثة الباقين وقال: فريد فرض شخصيته

على الجميع، ولفت انتباهنا جميعاً، وقد اختير بالإجماع، راوي

اكتشفه أسد، ورشحه بقوة ووافق عليه الجميع.

ثم نظر إلى بسّام بعيون الشك وقال: أما بسّام، فقد اختارتك

ميساء، وتأمّلت فيك خيراً على خلافنا جميعاً، ولكنني لم أكن أعوّل

عليك مطلقاً.

فقالت ميساء: ولكنه رسّام ممتاز.

هنا أوضح وليد: نعم، الفن هو أثمن ما نملك، وهدفنا كان أفضل

فن، ولكن الأهم من هذا كله كان الفنّان.

تحرك وليد يميناً ويساراً يحدّق في الأربعة وقد غطتهم الرمال،

ثم قال: شادي كان أنانياً، مغروراً، شكّاكاً، لا يثق بأحد، وكل ما يريده هو تسلق الجميع للوصول إلى ما يريد.

بسّام كان نهماً شرهاً أכולاً، لا يتوقف عن تناول ما هو دسم ومضر، كان هذا مقرفاً.

فريد مستهتر، يظن أنه يملك الدنيا وما فيها، كان مغرمًا بسيارته التي لم تجلب سوى المضرة للناس.

وراوي كان يغرق في المنكر كلما غرق في المسؤولية.

فقال راوي: لن أعود لذلك ثانية!

ابتسم وليد وقال: بالضبط.

ثم استدار وعاد إلى كرسيه، فجلس عليه، وركز رأسه على يده يحدق بهم وهو يقول: لم تكن لتترك بوعد تطلقه اليوم وتكسره غداً.

لقد كان هدفنا أن يقلع كل منكم عمّا يفعل الآن وللأبد.

فأوضح إحسان: نريد أن نصنع منكم أعظم الشخصيات.

فابتسم فريد وقال: ولكننا على التراب الآن!

فقال وليد بصرامة: عليكم ألا تنسوا أنكم من التراب وإليه،

لسنا نعلّم فيكم الغرور.

فقال شادي: هذا كان هدفكم إذن؟

فقال وليد: نريد من كل واحد منكم أن يكون القدوة لجميع

قال راوي: وصاحب المطعم الخائف، والجردان...

قال ضياء: طاقمنا.

قال فريد: والفتاة الميتة في صندوق السيارة...

قالت سمية: طاقمنا أيضاً.

عندها قال بسّام: وما المطلوب منا الآن يا سيدي؟

أجاب وليد: لن أطلب منكم شيئاً، بل سأسحب العرّافة من حياتكم، تلك العرّافة التي ظننتم أنكم لاهون في أمرها، ألا تذكرون قول الله تعالى: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) سورة النمل

قال راوي بسرعة: لن نسأل عرّافاً طول العمر!

ابتسم وليد وقال: هذه أساسيات كان يتوجب عليكم أن تعرفوها مسبقاً. على أية حال ستعود المياه إلى مجاريها، وستعودون إلى حياتكم بتغيرات بنّاءة، كما سيحصل كل منكم على حلقة يطوق بها يده، ليتذكر هذه الأيام.

أخرجت دلع صندوقاً فتحتّه ليشاهد الأربعة الحلقات، إنها أساور كتب على كل منها (أتعهد بأن أكون المثل الأعلى) فقالت دلع: لن تجدوا شبيهاً لها في الدنيا، إنها من تصميمي الخاص.

فتابع وليد: الآن تستطيعون تصميم الفيلم الذي لا مثيل له.

الفصل السابع والأربعون

الفيلم

سأل أحفادي: "وهل تم لهم الفيلم؟"
أجبت: "نعم، تم بنجاح، ولاقى إقبالاً واسعاً، فضلاً عن الفائدة
الجمّة التي نشرها في المجتمع"
"وهل كانت حكاية الشيك المفتوح حقيقية؟"
"ألا تذكر أن وليداً كان أمير البلاد، لقد صرف على كل مسمار
شارك في الفيلم، أما الأرباح الهائلة فكانت نصيب الأربعة"
"ماذا عن الأساتذة؟"
"كل منهم عاد إلى عمله، وظل الفن محور حياتهم، كما كانوا
فخورين جداً بالفيلم الناجح الذي صدر عن تلاميذهم، فلا تنسوا أن
نجاح الطالب من نجاح الأستاذ"
سأل أحد أحفادي: "ولكنك يا جدي لم نخبرنا كيف مات كل
منهم"

ابتسمت وقلت: "لم يمّت أحد منهم كما تنبأت العرّافة، فريد
مات في عمر الخمسين، عندما تعثر عن السلالم، وشادي توفي على عمر
السبعين، نائماً على فراشه، وراوي توفي على عمر الخمسين في

المستشفى، إثر التهابات حادة، أمّا بسّام فلم يعرف أحدهم كيف مات

تعجب أحفادي، لماذا لا يعرف أحدهم كيف مات بسّام؟ فسأل

أحدهم: "وهل عاد فريد لقيادة السيارات؟"

"نعم، ولكن قيادته باتت آمنة"

"ماذا عن شادي، هل تزوج؟"

"تزوج شادي، وطبعاً مر العرس بسلام، كما انقطع راوي عن

الشرب نهائياً، ونظّم بسّام غداءه"

ارتضى أحفادي النهاية، فابتسمتُ وقلت لهم: "هكذا انتهت

روايتنا، هل استمتعتم بها؟"

أجمعوا: "بكل تأكيد!"

"هل تعلمتم منها دروساً لحياتكم؟"

"بكل تأكيد!"

"هيا إلى النوم إذن"

سألت أصغر حفيداتي: "ومتى نبدأ حكايتنا التالية؟"

أدخل سؤالها البهجة إلى قلبي، وشعرت برضى لا يوصف،

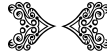
أجبتها: "سأفكر لكم برواية جميلة في الغد"

سعد الجميع ونهضوا إلى فراشهم، بينما بقيت جالساً أمام

النافذة أحمد الله على أفضاله، على كل زهرة، على كل قطرة، على كل

نسمة، على منزلي، على أولادي، على أحفادي، على جلستي هذه،
على روايتي.

أحمدته على الأيام الجميلة التي قضيتها منذ الصغر، وفي
الشباب، وحتى الشيخوخه، أحمدته أنه رزقني وأعطاني عطاء كريماً،
وأرشدني إرشاداً حكيماً، وأنظر إلى السوار في يدي حيث نقش فيه
التعهد بأن أكون المثل الأعلى.



- تم بحمد الله -